الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٥٤ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 154.

Lundi - 15 - 6 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٦ » العـــدد ١٥٤

فهرس العـــــدد

محنة فلسطين

أيها المسلمون !

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

نهضتْ فلسطين تحلُّ العقدةَ التى عُقدت لها بين السيف، والمكْر، والذهب

عقدةٌ سياسية خبيثة، فيها لذلك الشعب الحرّ قتلٌ، وتخريبٌ، وفقر

عقدةُ الحكم الذى يحكم بثلاثة أساليب: الوعدِ الكذب، والفَناء البطىء، ومطامع اليهود المتوحشة

أيها المسلمون! ليست هذه محنة فلسطين، ولكنها محنة الاسلام؛ يريدون ألاَّ يثبت شخصيته العزيزة الحرة

كل قرش يُدفع الآن لفلسطين، يذهب إلى هناك ليجاهد هو أيضاً

***

أولئك اخواننا المجاهدون؛ ومعنى ذلك أن أخلاقنا هى حُلَفاؤُهم فى هذا الجهاد

أولئك اخواننا المنكوبون؛ ومعنى ذلك أنهم فى نكبتهم امتحانٌ لضمائرنا نحن المسلمين جميعاً

أولئك اخواننا المضطهدون؛ ومعنى ذلك أن السياسة التى أذلّتهم تسألنا نحن: هل عندنا اقرارٌ للذل؟

ماذا تكون نكبةُ الأخ إلا أن تكون اسما آخر لمروءة سائر إخوته أو مَذَلّتهم ؟

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليفرض على السياسة احترام الشعور الاسلامى

* * *

إبتَلوْهم باليهود يحملون فى دمائهم حقيقتين ثابتتين من ذل الماضى وتشريد الحاضر

ويحملون فى قلوبهم نقمتين طاغيتين : إحداها من ذهبهم والأخرى من رذائلهم

ويخبأون فى أدمغتهم فكرتين خبيثتين : أن يكون العربُ أقلية ، ثم أن يكونوا بعد ذلك خدمَ اليهود

فى أنفسهم الحقد ، وفى خيالهم الجنون ، وفى عقولهم السكر ، وفى أيديهم الذهب الذى أصبح لئيما لأنه فى أيديهم

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليتكلم كلمة ترد إلى هؤلاء العقل

* * *

ابتلَوْهم باليهود يمرُّون بينهم مرورَ الدنانير بالربا الفاحش فى أيدى الفقراء

كل مائة يهودى على مذهب القوم يجب أن تكون فى سنة واحدة مائة وسبعين . . .

حساب خبيث يبدأ بشىء من العقل ، ولا ينتهى أبداً وفيه شىء من العقل

والسياسة وراء اليهود ، واليهود وراء خيالهم الدينى ، وخيالهم الدينى هو طرد الحقيقة المسلمة

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليثبِّت الحقيقة التى يريدون طردها

* * *

يقول اليهود : إنهم شعبٌ مضطهَد فى جميع بلاد العالم ، ويزعمون أن من حقهم أن يعيشوا أحراراً فى فلسطين ، كأنها ليست من جميع بلاد العالم . . .

وقد صنعوا للانجليز أسطولا عظيما لا يسبح فى البحار ولكن فى الخزائن . . .

وأراد الانجليز أن يطمئنوا فى فلسطين الى شعب لم يتعود قط أن يقول : أنا

ولكن لماذا كنستكم كلُّ أمة من أرضها بمِكنَسة أيها اليهود ؟

* * *

أجهلتم الاسلام ؟ الاسلامُ قوة كتلك التى تُوجِدُ الأنيابَ والمخالبَ فى كل أسد

قوةٌ تُخرج سلاحها بنفسها لأن مخلوقها عزيزٌ لم يُوجَد ليُؤكل ولم يُخلق ليَذِلَّ

قوةٌ تجعل الصوتَ نفسَه حين يَزْمجر كأنه يعلن الأسديَّةَ العزيزةَ الى الجهات الأربع

قوةٌ وراءها قلب مشتعل كالبركان تتحول فيه كلُّ قطرة دم ، الى شرارة دم

ولئن كانت الحوافر تهيّىء مخلوقاتها ليركبها الراكب ، إن المخالبَ والأنيابَ تهيّىء مخلوقاتها لمعنى آخر

لو سئلت ما الاسلام فى معناه الاجتماعى ؟ لسألتُ : كم عدد المسلمين ؟

فان قيل ثلثمائة مليون ، قلت : فالاسلام هو الفكرة التى يجب أن يكون لها ثلثمائة مليون قوة

أيجوع اخوانكم أيها المسلمون وتشبعون ؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه

والغِنَى اليومَ فى الأغنياء المُمْسِكين عن اخوانهم ، هو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين يدل دلالات كثيرة ، أقلها سياسة المقاومة

* * *

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك ، فافتحوا أنتم أيديكم . . . .

كانوا يرمون بأنفسهم فى سبيل الله غير مكترثين ، فارموا أنتم فى سبيل الحق بالدنانير والدراهم

لماذا كانت القِبلةُ فى الاسلام إلا لتقتاد الوجوه كلها أن تتحول الى الجهة الواحده ؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت فى الحق ؟

أيها المسلمون ! كونوا هناك . كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعانى

* * *

لو صام العالم الاسلامى كله يوماً واحداً وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها

لو صام المسلمون كلهم يوما واحداً لاعانة فلسطين لقال النبى مفاخراً الأنبياء : هذه أمتى !

في النقد الأدبي أيضاً

إلى أخي طه حسين

للأستاذ أحمد أمين

عرضت في مقالي السابق لضعف النقد الأدبي في مصر، وخاصة في السنوات الأخيرة، وذكرت أن رقي النقد لم يساير رقي الأدب، فقد كان الانتاج الأدبي قليلاً، وكان النقد يؤدي مهمته في هذا القليل ويعرّف جمهور القراء به، ويبين مزاياه وعيوبه، وتختلف أنظار النقاد فيه، ويعرضون له من وجوهه المختلفة، وفي كل ذلك فائدة للأدب وتبصرة للقراء؛ ثم كثر الانتاج وارتقى، وقلّ النقد وضعف، واكتفى جمهور النقاد بنقد الكتاب من فهرسه ومقدمته. واليوم أزيد هذا الرأي شرحا وبياناً، وحجة وبرهاناً

في كل عام يخرج هيكل وطه والعقاد والزيات والمازني وزكي مبارك وغيرهم كتباً عدة، ويخرج الشعراء قصائد كثيرة، ويخرج مؤلفو الروايات روايات تعد بالعشرات، ولكن قلّب الصحف والمجلات لترى نقدها نقدا صحيحاً فقلّ أن تعثر عليه. هذا أقرب كتاب الينا وهو كتاب «محمد» لتوفيق الحكيم. هو من غير شك عمل جديد في بابه من حيث وضعه للسيرة النبوية في قصة؛ ولكن أين النقد الذي قوبل به الكتاب؟ وأين ما كان من البحث حول قيمة ما فيه من فن، وهل هذا العمل في فائدة التاريخ والأدب أم لا؟ وهل من الخير أن نشجعه أم لا؟ ثم هل هو صوّر محمدا (ص) صورة صحيحة أم لا؟ ثم إنه اعتمد في كل ما نقله على عبارات السيرة، ولكنه اختار أجزاء وحذف أجزاء، وألف بين هذه الأجزاء، وهذا التأليفُ بين أجزاء معيّنة وتركُ غيرها يجعل الصورة ذات ألوان خاصة يسأل عنها المؤلف كما يسأل عن كتاب كتبه بنفسه وعبر عنه بعبارته

لم نجد شيئاً كثيرا من ذلك؛ ومرّ الكتاب بسلام. وأظن أنه لو ظهر من نحو عشر سنين لكان له شأن آخر، ولنال من النقد ما يستحقه. وليس يعنينا أن المؤلف يغضب من النقد أو لا يغضب، فالنقد ليس من حق المؤلف وحده، وإنما هو حق الناس جميعاً وحق الأدب والتاريخ

وهل أتاك نبأ ما كان منذ شهرين، إذ نشر شاب في الاسكندرية رسالة في «الحديث»، تعرض فيها للرواية والرواة، ونقد بعض المحدّثين، وطعن في بعض الأسانيد، فاجتمع مجلس الوزراء وقرر مصادرة الرسالة؟ مع أن المعتزلة منذ ألف سنة قد أنكروا أكثر الأحاديث إلا ما أجمع الرواة على صحته، ولم يكفرهم من أجل هذا أحد، ولم يصادر كتبهم من أجل هذا أحد. ومنذ أكثر من ألف سنة حكى الشافعي في كتابه «الأم» حكاية قوم من المسلمين أنكروا حجية الأحاديث بتاتاً، ولم يشنع عليهم أحد، ولم يقل بكفرهم أحد، وجادلهم المجادلون في هدوء وثبات كما يجادل المؤمن المؤمن. ومنذ عشرين سنة على ما أذكر، كان ينشر المرحوم الدكتور صدقي في «مجلة المنار» مقالات ضافية متتابعة يدعو فيها إلى الرجوع إلى القرآن وحده، وينقد الرجوع الى الحديث، ورد عليه جماعة من العلماء، وطال الأخذ والرد والدفاع والهجوم، ولم يجتمع إذ ذاك مجلس الوزراء ويقرر مصادرة المنار كما اجتمع وقرر في هذه الأيام. ألا يدل هذا وأمثاله على أننا أصبحنا أضيق صدراً وأقل حرية؟ ومن الغريب أن أحداً لم يحرك لهذا ساكناً ولم يفه ببنت شفة! ولو وقع هذا الحادث من عشر سنين لقام له الكتاب الأحرار وقعدوا، ودافعوا ونقدوا

وهذه لجنة التأليف تصدر كل حين كتابا بل كتبا، وتهديها الى الأدباء والصحف والمجلات، ثم تنتظر من يقوّمها وينقدها ويبين مزاياها وعيوبها، ويشرح للجنة رأيه في مسلكها وفيما تخرجه من الكتب، ويرشدها إلى وجهة قد تكون خيرا من وجهتها، فلا تجد إلا القليل النادر والنتف القصيرة التي لا تجزئ

لو صام المسلمون جميعاً يوماً واحداً لفلسطين لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل: إن فيها قوماً جبّارين ....

أيها المسلمون! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئاً سماوياً

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين يتكلم يوم الحساب يقول: يا رب أنا إيمان فلان!

لجنة فلسطين

٦٢ - ٦

وسبب هذا أننا لا ننظر الى النقـد النظر الذى يستحقه من الاجلال والاكبار ؛ فمنا من ينظر الى النقد على أنه اعـلان عن الـكتاب ؛ ومنا من ينظر اليـه على أنه مجاملة لصديق أو تحية لصاحب أو استغلال لموقف ؛ وقليل جدا من ينظر اليه على أنه ميزان دقيق كميزان الذهب يوزن به النتاج الأدبى وزنا محكما فلا يفوته شىء . وقد أجاد العرب كل الاجادة فى تسمية هذا المنحى الأدبى « نقدا » أخذا من نقد الصيرفى الدراهم والدنانير ليعرف جيدها من زائفها

وقد أدى هذا النظر الى أن الصحف والمجلات وكثيرا من الـكتّاب عَدّوا هـذا العمل عملا ثانويا يضاف الى أعمـالهم الأساسية ، فهم معذورون إن أثقلوا بالاعمال وكان نقد الـكتب أحدها فلم يولوها العناية اللائقة بها ، ولم يمنحوها ما يجب لها من وقت ودرس وتمحيص . وقد أدركت هذا الواجب الجرائد والمجلات الأجنبية التى تحترم نفسها فاختارت كُتّابا من خيرة الـكتاب لا عمل لهم فيها إلا النقد ، ويقرأون الـكتب والقصائد والقصص ونحوها ويدرسونها درساً عميقاً ، ثم يظهرون القراء على نتيجة جهدهم ومدى درسهم وقصارى بحثهم

وشىء آخر كان له دخل كبير فى رقى النقد الأوربى وضعف النقد العربى ، وأعنى به « التخصص » ؛ وهذا ظاهر فى المجلات الأوربية وكُتّابها . فأما المجلات فتخصصت ، فمجلة للجغرافيا خاصة ، ومجلة للاجتماع ، ومجلة للأخلاق ، ومجلة للقصص ، ومجلة للسياسة ، ومجـلة للثقافة العامة . فاذا ألف كتاب فى الجغرافيا أو الاجتماع أو الأخلاق فالمجلة الخاصـة بذلك تنقده ؛ وإذا هى نقدته نقدته عن خبرة تامة بالموضوع وتخصص فيه . وبهذا يفخر المؤلف بأن مجـلة كذا مدحت كتابه وأثنت عليه ، لأن المدح صدر من واسع الاطلاع عميق البحث يحترم نفسه وقراءه . وأما الـكتّاب فيشعرون هـذا الشعور نفسه ، فلا يتعرض ناقد لـكتاب ليس من موضوعه الخاص وإن كان مثقفاً فيه ثقافة عامة . فاذا عرض على أديب كتاب فى علم النفس احترم نفسه وقراءه فلم يكتب فيه ، وعد ذلك كأديب ينقد رياضيا ، أو شاعر ينقد فلكيا ، وأنه بمنزلة لا يصح أن يقع فيها ، وأن الشأن فى المعارف كالشأن فى الطب ، فكما لا يصح أن يداوى طبيب عيون مرضاً باطنياً ولا طبيب الأذن مرض اللثـة ، فكذلك لا ينقد أديب تاريخاً ولا قصصى جغرافيا ؛ إلا إذا تعرض للـكتاب من ناحية الأسلوب . بل هم سائرون إلى أكثر من ذلك فيريدون أن يتخصص الأدباء فى فروع الأدب نفسـه فلا ينقد قصصى كاتب رسائل ، ولا ناقد الرسائل والمقالات قصصاً

إن شئت فانتقل بمدمى الى الحال عندنا . هل يتعفف أكثر النقاد عن أن ينقدوا ما ليس من اختصاصهم ؟ فالـكاتب الأدبى عندنا يرى أنه يستطيع أن ينقد فى يوم واحد كتاباً عن تاريخ نابليون ، وكتاباً عن جزيرة العرب ، وديوان شعر . وهو يرى أنه يستطيع أن ينقد كل شىء فلا يأتى بشىء . ومن أجل هذا قدر الناس أكثر النقد العربى بما يستحقه فقط . فمدحُ المجلة والصحيفة للـكتاب لا يدل على شىء وراء هذه العبارة ، ولا يدل على أن للـكتاب قيمة ذاتية . ولا يستطيع مؤلف عربى أن يتقدم الى هيئة محترمة يحوته ليقول إن مجلة كذا العربية قرظتها وقالت فيها كذا ، كما يفعل من يتقدم بمؤلف كتب بلغة أوروبية فيستدل على قيمة عمله بأن مجلة كذا نشرته ، ومجلة كذا قرظته.

ثم الناقد الحق قاض عادل . والقاضى العادل لا يقضى حتى يدرس قضيته من جميع نواحيها فلا تفوته جزئية منها ؛ وهو عالم بالقانون وبالمواد التى تتصل بقضيتـه محيط بها ؛ وهو ماهر فى تطبيق المواد على قضيته محكم تطبيقها ، وكذلك الناقد . والقاضى الذى لا يرجع الى قانون إلا قانون العدالة المطلقة مخطئ ؛ والقاضى الذى يحكم ذوقه وحده مخطئ ؛ والقاضى الذى يدخل الشخصيات فى قضيته مخطئ ؛ وكذلك الناقد . وكل ما هناك من فرق أن القاضى يحكم وفق قانون موضوع ، والناقـد الأدبى يحكم وفق قانون لم توضع كل أحكامه ولم تعرف كل مصادره ؛ وذلك راجع الى الفرق بين طبيعة القوانين العلمية والوضعية وقوانين الذوق ؛ ولـكن على كل حال لا يصح للأديب أن يصدر حكمه بناء على أنه يستحسن أو يستهجن فقط ، وإلا كان فى استطاعة كل من أمسك القـلم أن ينقد . إن كل فرع من فروع الأدب من قصة وشعر ونثر فنى له قوانين تبين رقيه وانحطاطه ؛ وكل عنصر من عناصر الأدب من خيال وعاطفة ونحوها له مقاييس تقاس بها درجة قوته وضعفه ؛ وكل ما فى الأمر أن بعض هذه القوانين عرفت واستكشفت ، وبعضها غامض فى دور الاستكشاف . ويجب على الناقد أن يرجع إلى هذه الأسس فى صدور أحكامه كما يرجع

القاضى إلى قانونه ؛ وهذا يسلمنا إلى القول بأن الناقد الحق يجب أن يكون مثقفاً ثقافة واسعة عميقة ، وأن يبنى حكمه على علل معقولة كما يبنى القاضى حكمه على « حيثيات » واضحة ، ولسنا ننكر أن الأديب يعتمد فى حكمه على ذوقه وشعوره بالجمال والقبح ، ولكن لا يعد هذا الذوق راقياً إلا إذا أسس على علم واسع ومعرفة بقوانين الأدب

وهذا ضرب لا يزال ينقصنا منه الشىء الكثير ؛ فأكثر أحكامنا على النتاج الأدبى أحكام مجردة لا تعلل بعلل مقنعة ، ولا يرجع فيها إلى قوانين ثابتة ، وبذلك تفقد قيمتها ويقل احترامها

* * *

لقد قال قائلون إنك تعيب النقد العربى ولا تنقد ، وتعيب قلة الجرأة ولا تجرؤ ، وتدعى قلة النقد ولا تبنى فى بنائه الذى تنشده حجراً

قد يكون هذا صحيحاً ؛ ولكن هل من العيب أن يشرح المريض مرضاً عاماً أصيب به هو وغيره ؟ وهل من الشر أن يرفع صوته بالشكوى من كان هو وغيره سبب الشكوى ؟ وهل يحجر على الانسان أن يقول إن هذا ليس بجميل إلا إذا كان جميلاً ، وليس بعادل إلا إذا كان عدلاً ، وليس أبيض ولا أسود إلا إذا كان هو أبيض أو أسود ؟ إن مطالبة الانسان ألا ينقد إلا إذا كمل ، وألا يعيب إلا إذا خلا من العيب يحقن فى نفوس الناس آراءهم وقد تكون صالحة ، ويسلبهم الحرية وقد يكون فى حريتهم العلاج . على أن المريض قد يكون أصدق فى وصف المرض من الصحيح ، والجانى قد يصور الجناية بأحسن مما يصورها البرىء

أما بعد ، فقد شرحت وجهة نظرى فى بعض وجوه العيب فى النقد العربى من ناحيتها العامة . فان أراد أخى طه أن يحورها من عمومها إلى شخصياتها ، وينقل المسألة من النقد الأدبى إلى النقد السياسى ، ويجعل الأمر يدور حول أنا وأنت ونقدتُ ولم تنقد ، وكتبتُ ولم تكتب ، وبئستُ ونعمتَ ، وشقيتُ وسعدتَ ، لم أجاره فى ذلك ، ووقفت حيث أنا إلا أن يعود إلى أساس النظرية ، ويقرع حجة بحجة ، وبرهاناً ببرهان ؛ فأنى إذن أساجله القول فى ذلك حتى ينجلى الحق ويظهر الصواب .

والسلام عليك من أخ يضمر لك من الحب والوفاء ما تضمر له .

أحمد أمين

شخصية غامضة
فى التاريخ الأندلسى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

شخصية غامضة وحادث غامض فى التاريخ الأندلسى ، فى عصر الفتح ، تقدم عنهما الرواية النصرانية كثيراً من التفاصيل الغامضة المتناقضة ، وتمر عليهما الرواية الاسلامية بالصمت ، وما زال البحث الحديث مترددا فى شأنهما

أما هذه الشخصية الغامضة فهى شخصية ذلك الزعيم المسلم أو النصرانى طبقاً لبعض الروايات ، الذى تسميه الرواية الفرنجية « منوزا » أو « مونز » ، والذى كان يتولى حكم بعض الأقاليم الشمالية فى عهد عبد الرحمن الغافقى أمير الأندلس ؛ وأما الحادث أو الحوادث الغامضة التى ترتبط باسم هذا الزعيم ، فهى محالفته للدوق أودو أمير اكوتين الفرنجى ، وزواجه من ابنته الأميرة لامبجيا التى اشتهرت برائع حسنها ، ومشاريعه الغامضة التى نظمها مع الدوق ، والتى انتهت بخروجه على حكومة الأندلس ، ثم هزيمته ومقتله ، وأسر زوجه الحسناء لامبجيا

وسنحاول فى هذا البحث أن نعرف من هو « منوزا » صاحب هذه الشخصية الغامضة . ولقد كنت أعتقد ، كما يعتقد كثير من الباحثين فى التاريخ الأندلسى أن « منوزا » أو مونز انما هو تحريف لاسم « ابن أبى نسعة » العربى ، وهو عثمان ابن أبى نسعة الخثعمى الذى تولى إمارة الأندلس فى سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) ؛ وقد سرت على هذا الرأى فعلاً فيما كتبته عن تاريخ هذه الفترة فى الفصل الذى خصصته لموقعة بلاط الشهداء فى كتابى « مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام [(١)] » ؛ ولكنى اليوم أصبحت أشك فى صحة هذا الرأى ، وفى أن منوزا وابن أبى نسعة هما مسميان لشخص واحد

وتتفق الروايات النصرانية — ومنها الروايات المعاصرة — على هيكل الحوادث التى ترتبط باسم منوزا من تاريخ أسبانيا

---

(١) مواقف حاسمة ص ٤٧

المسلمة ؛ ومعظمها على أن منوزا كان زعيما مسلماً ، يحكم بعض ولايات البرنيه الغربية وسبتمانيا فيما وراء البرنيه باسم حكومة الأندلس ؛ وكان ذلك حوالى سنة ٧٢٥ — ٧٣٠ م ؛ وكان الدوق أودو أمير اكوتين الفرنجى فى ذلك الوقت يتلمس كل وسيلة لحماية مملكته من غزوات العرب ؛ وكان العرب قد غزوا أراضيه مراراً قبل ذلك وأثخنوا فيها ؛ وكان جل همه أن يتقرب من حكومة الأندلس أو يجمع الحلفاء من حوله لمقاومتها ، فلما تولى « منوزا » حكم الولايات الشمالية ، وهى التى تجاور إمارة اكوتين من الشرق والجنوب ، سعى الدوق إلى التفاهم معه ؛ وكان منوزا ، كما تصفه الرواية زعيما قوى المراس ، كثير الأطماع نافذ الهيبة فى هاتيك الوهاد ؛ ولم يكن على اتفاق مع حكومة الأندلس ؛ ذلك لأنه كان من أقطاب البربر الذين عبروا الى الأندلس مع طارق بن زياد[1] ؛ ونحن نعرف أن البربر كانوا على خلاف دائم مع العرب ، يحقدون عليهم لأنهم استأثروا دونهم بمغانم الفتح والرياسة . فاذا صح أن « منوزا » كان زعيما بربرياً كما تصفه الروايات الفرنجية المعاصرة ، فيكون من المشكوك فيه إذاً أن يكون « منوزا » هو عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ، الذى تولى إمارة الأندلس كما قدمنا . ذلك أن عثمان كان زعيما عربياً ، ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة[2] هذا إلى أن الرواية العربية تقدم الينا عن مصيره رواية أخرى غير تلك التى تقدمها الينا الرواية النصرانية عن مصير منوزا ، فهى تقول لنا إن أبى نسعة ولى الأندلس فى شعبان سنة ١١٠ (سنة ٧٢٨ م) واستمرت ولايته خمسة أشهر أو ستة ، ثم عزل وانصرف إلى القيروان فمات بها[3] . أما منوز فقد مات محارباً ومات قتيلاً كما سنرى

وعلى أى حال فقد تفاهم أميرا كوتين ومنوزا ؛ وقوت المصاهرة بينهما أواصر الصداقة والتحالف ؛ ذلك أنه كانت للدوق ابنة رائعة الحسن تدعى لامبجيا (أو منينا أو نوميرانا على قول بعض الروايات) فرآها منوزا أثناء رحلاته (أو غاراته) فى اكوتين وهام بها حباً . تقول الرواية : « وكانت لامبجيا أجمل امرأة فى عصرها ، كما كان منوزا أقبح رجل فى عصره ، وكانت نصرانية متعصبة ، ولكن أطماع الوالد غلبت على كل شىء فارتضى مصاهرة الزعيم المسلم » . ويصف جيبون مؤرخ الدولة الرومانية هذا التحالف ، وتلك المصاهرة فى قوله : « ارتضى منوزا الزعيم البربرى محالفة دوق اكوتين ، وأسلم أودو لباعث المصلحة الخاصة أو العامة ، ابنته الحسناء ، لقبلات الملحد الأفريقى وعناقه »

وتحيط الرواية النصرانية شخصية لامبجيا بكثير من الغموض أيضاً ، وتختلف فى ظروف زواجها من الزعيم المسلم ، فتقول مثلا : إن منوزا أسر لامبجيا فى إحدى غاراته على أراضى أكوتين ، ثم هام بها حباً وتزوجها ، وحمل بنفوذها وتأثيرها على محالفة أبيها الدوق ، ومناوأة حكومة الأندلس ؛ وأنه تزوجها طوعا كما تقدم ، وتقول أيضا إن ابنة دوق أكوتين التى تزوجها « منوزا » لم تكن لامبجيا ، وإنما كانت أختها « منينا » التى كانت من قبل زوجة لفرويلا القوطى أمير أوسترياس ، وتقول غير ذلك من الأنباء والتفاصيل التى يقع معظمها فى حيز الأساطير[1]

ونمى أمر هـذا التحالف الى حكومة الأندلس ، فلم تقره ، وارتابت فى أمره ؛ وأبدى منوزا من ضروب التمرد والاستثارة ما حملها على اعتزام تأديبه وتحطيمه ؛ وكان أمير الأندلس يومئذ عبد الرحمن الغافقى أعظم ولاة الأندلس ، فبعث لتأديب الخارج حملة قوية بقيادة ابن زيان ، فامتنع منوزا بصوامعه الجبلية ، وتحصن فى عاصمة اقليمه « مدينـة الباب » الواقعة على منحدر البرنيه ، وكان يظن أنه يستطيع أن يتحدى الجيش الاسلامى ، وأن يعتصم بالصخر كما اعتصم به الزعيم القوطى بلاجيوس ؛ ولكنه كان مخطئاً فى تقديره ؛ فقـد نفذ ابن زيان بجيشه الى مدينة الباب ، وحصر الثائر فى عاصمته ، ففر منها الى شعب الجبال الداخلية ؛ فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة ، حتى أخذ وقتل مدافعاً عن نفسه ؛ وتحطمت أطماعه ومشروعاته (١١٣ هـ — ٧٣١ م) وأسرت زوجه الحسناء لامبجيا ، وأرسل بها أمير الأندلس إلى بلاط دمشق ، فاستقبلها الخليفة (هشام) بحفاوة وإكرام ،

(١) هكذا تقول الروايات النصرانية المعاصرة والقديمة — راجع دوزى (الطبعة الجديدة) ج ١ ص ١٦٠ و ج ٢ ص ١٢٩ — والهوامش — وينقل دوزى عن ايزيدور الباجى ، وهو راوية معاصر ؛ وعن سبستيان
(٢) راجع المقرى — نفح الطيب — ج ١ ص ١٣٩
(٣) راجع البيان المغرب لابن عذارى ج ٢ ص ٢٧

(١) راجع خلاصة الروايات الفرنجية فى موسوعة Bayle V. IV والتعليقات

وتزوجت هنالك من أمير مسلم لا تذكر لنا الرواية اسمه

والرواية العربية تمر على هذه الحوادث كلها بالصمت ، ولا تذكر لنا أى تفصيل أو لمحة تلقى الضياء على شخصية منوزا ؛ بيد أن ابن عذارى المراكشى ينقل الينا نصاً يستوقف النظر فى حديثه عن ولاية أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الكلابى إذ يقول : « وهو الذى غزا منوسة » (١) ، فهل تكون « منوسة » هى الافرنجية المحرفة « منوزا » Munuza ، أو بعبارة أخرى هل تنصرف هذه الكلمة إلى الشخص أو تنصرف إلى المكان ؟ يرى دوزى أنها تنصرف إلى الشخص ، وأن ابن عذارى يقصد هنا « منوزا » صاحب المأساة التى أتينا عليها (٢)

أما نحن فنرى بالعكس أن الكلمة هنا تنصرف إلى المكان ، وأنه لا علاقة بين كلمة « منوسة » ، وبين الزعيم « منوزا » ، ذلك أن الرواية العربية لم تعتد أن تعبر عن غزو الأشخاص بهذه الصورة ، وإنما تتحدث دائماً عن غزو المكان ، هذا إلى أن الحديث هنا يتعلق بغزوات معروفة فى الرواية الاسلامية قام بها أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الكلابى الذى تولى إمارة الأندلس فى أوائل سنة ١١١ هـ (٧٢٩ م) ؛ فقد عبر الهيثم جبال البرنيه غازياً ؛ واخترق ولاية سبتمانيا ، ثم وادى الرون ، وغزا ليون (لودون) ، وماسون ، وشالون الواقعة على نهر الساؤون ، واستولى على أوتون وبون ، وعاث فى أراضى برجونيه الجنوبية ؛ والمرجح لدينا أن مدينة « ماسون » التى غزاها الهيثم ، إنما هى « منوسة » التى يذكرها ابن عذارى ، حرفت بالعربية بطريق التقديم والتأخير فى الأحرف

هذا ، وهنالك رواية نصرانية أوردها ماريانا المؤرخ الاسبانى الكبير ؛ فقد ذكر أن « منوزا » كان نصرانياً ، اختاره المسلمون لحكم المنطقة الواقعة فى غرب البرنيه ، ولكنه كان صارماً شديد الوطأة يسوم النصارى سوء الخسف ؛ وأنه كانت للدون بلاجيوس زعيم جليقية القوطى أخت بارعة الحسن ، شغف بها منوزا حباً ؛ ولكن بلاجيوس لم يوافق على زواجها منه ، فاحتال منوزا ، وبعثه فى مهمة إلى قرطبة : وأسر الأميرة أثناء غيبته وتزوج منها قسراً . فأسر بلاجيوس وأخته هذه الاهانة ، ولبثا يرقبان الفرص ، حتى استطاعت الأميرة فراراً من أسرها ، وسارت مع أخيها إلى جبال جليقية حيث اعتصم بلاجيوس مع أنصاره ، وأعلن الخروج والثورة . فأخطر منوزا حكومة قرطبة ؛ فأرسلت حملة لتأديب الثائر بقيادة « علقمة » ؛ ولكن بلاجيوس استطاع مع أنصاره القلائل أن يعتصم بشعب الجبال ، فارتد المسلمون منهزمين ، وقتل علقة ؛ وارتاع منوزا لفوز خصمه ، وخشى انتقام مواطنيه ، فحاول الفرار إلى الجنوب ، ولكن وقع فى يد شرذمة من الفلاحين النصارى فقتلته ؛ ويضع ماريانا تاريخ هذه الحوادث فى سنة ٧١٨ م (١)

ولكن رواية ماريانا هذه ظاهرة الضعف ؛ أولاً لأنه ليس بمعقول أن تعهد حكومة الأندلس المسلمة بحكم ولاية من ولاياتها إلى زعيم نصرانى ؛ وثانياً لأن هذه الرواية تخالف فى مجموع تفاصيلها كل ما كتبته الرواية المعاصرة عن شخصية منوزا ، وعن مصاهرته لدوق أكوتين ؛ وثالثاً لأن تاريخ هذه الحوادث متأخر عن التاريخ الذى يعينه ماريانا بنحو عشرة أعوام

وعندئذ يبقى أمامنا فرض واحد يمكن التعويل عليه فى تعيين شخصية منوزا . فهو زعيم مسلم بلاريب ؛ ولكنه شخص آخر غير « ابن أبى نسعة » أمير الأندلس كما أوضحنا . ومن المعقول جداً ، أن يكون ، كما تصفه الرواية النصرانية المعاصرة ، من زعماء البربر الذين دخلوا الأندلس وقت الفتح ؛ وقد حرفت الرواية الفرنجية اسمه الى هذا الوضع ؛ وهنالك فى ظروف الأندلس عقب الفتح ، وفى عوامل الخصومة التى نشبت بين العرب والبربر ، وفى تنازعهما المستمر على مناصب الرياسة والحكم ، ما يؤيد انتماء منوزا إلى البربر ؛ وعلى ضوء هذا الفرض وحده نستطيع أن نفهم موقف منوزا وتصرفاته فى محالفة دوق أكوتين ومصاهرته وفى محاولته الخروج على حكومة الأندلس ، تحقيقاً لأطماع جاشت بها نفسه ، ونزولاً على عوامل الخصومة التى يضطرم بها البربر نحو العرب

محمد عبد الله عنان

(١) البيان المغرب — ج ٢ س ٢٧

(٢) دوزى — ج ٢ س ١٢٩ (الهامش)

(١) ماريانا — الترجمة الفرنسية — ج ٣ س ٥ وما بعدها

الصــــفات المحسودة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

قال شوبنهور : إن حسد المرء للشيء يكون على قدر يأسه من نيل مثله ؛ وهذا اليأس سبب أساسي من أسباب الحسد ، فقد يُحسَدُ صاحب الضياع والعمارات والسيارات ، ولكن حاسده قلما يقصده بحسد كحسده لصاحب العقل الرجيح الأصيل الذي يستمد من العبقرية الموروثة صفاتها . فالأول قد يُحسَد في فترات غير متصلة ، لأن الحاسد يرجو أن ينال الخير على يديه مما لديه ، أو يرجو الخير من جاهه ووساطته لدى من تنفع شفاعته عنده . فالخير يرجى في التحبب إلى الغني والخضوع له والمهابة عند طلعته ؛ وهذه أمور قد تكون ظواهر تستر حسدا ، ولكن المرء إذا روض نفسه عليها واعتادها عاد بعضها حقيقة في نفسه يخالطها أو لا يخالطها النفاق . ومما يعين في تحويلها إلى حقيقة أن المرء مأخوذ بوسائل الحياة ، منهوم بها من مال وعقار وجاه ، فهو يعدها أسباب الحياة الأولية أكثر مما يعد العبقرية من أسباب الحياة ؛ ولا يجل الناس عقلاً بلا مال قدر ما يجلون مالاً بلا عقل . فالموهوبات المادية لا يحسدها المرء قدر حسد الموهوبات العقلية ، لأنه يرجو الخير عند الأولى بالتحبب إلى صاحبها ، ولأنه يهابها ، والهيبة والاجلال تتغلب على الحسد للمرء المهيب . أما الثانية فاذا كانت استعدادا موروثاً من صفات العبقرية لا يجلبه التعليم ولا تخلقه التربية ، لم يكن للمحروم أمل في نيلها ؛ وهذا اليأس منها منشأ الغيظ والمقت والحقد والحسد . ولعل النفس تزكى نفسها بأن المرء المحسود لم ينل الاستعداد الموروث بجد واجتهاد وعمل فهو لا فضل له فيه ، وهذه مغالطة ، فان الاجتهاد والجد والعمل صفات منشؤها استعداد موروث آخر

ولا يحسد المرء المال الموروث قدر حسده العقل الموروث ، لأن المال الموروث يوجد مثله في السوق ، وقد ينال الصعلوك مثله وأكثر منه فيغنى بعد فقر . فالأمل في كسبه موجود دائماً حتى وإن بعدت وسائل نيله ؛ وإذا وجد الأمل لطف من عدواء الحسد . أما الاستعداد العقلي الموروث فلا يناله أحد بالاجتهاد والعمل كما ينال العلم المكتسب الذي هو شيء آخر ، فليس عند المحروم أمل في نيل صفات العبقرية الموروثة مهما كان أمله عظيما في نيل العلم المكتسب ، فتراه يحسد على الاستعداد العقلي الموروث أكثر من حسده على الضياع والعقار ، وأكثر من حسده على العلم المكتسب ؛ وهو لا يحسد على الضياع والعقار والمال إلا إذا يئس من بلوغ الخير عند صاحبها ، أو إذا يئس من بلوغ مثلها بالجد والاجتهاد ، أو بالنصب والاحتيال ؛ وهو لا يحسد على العلم المكتسب إلا إذا حُرم صفات الجلد والمثابرة والقدرة التي ينال بها العلم المكتسب . فاليأس هو أساس الغيظ والحقد والحسد في كل حالة من الحالات الثلاث

ومما يحير الألباب أن ترى انساناً فقيراً لا حول له يُحسَد على صفات العبقرية التي هي فيه أو التي يحسبها الحاسد من صفاته أكثر من حسد الحاسد للغني صاحب المال والجاه ، فيحار الباحث المفكر في تعليل هذا التفاوت في الحسد ؛ وكان المعقول في رأيه أن يكون مقدار الحسد على عكس ما يرى لأن الناس تتقاتل على الذهب والفضة ، ولكن إذا عرف الباحث ما ذكر من نشأة الحسد وسببه زالت حيرته وزال عجبه

ولعل لهذا الانقلاب في مقادير الحسد الذي يقصد به صاحب المال وصاحب العقل الموروث سببا آخر ، وهو أن وسائل القهر والدفاع والانتقام متوفرة عند صاحب المال وهي أمور يخشاها الحاسد ، والخوف منها يلطف من غلواء حسده لصاحب المال والجاه خشيــة أن يصيبه من قدرة الغني أو صاحب الجاه ومن انتقامه وبطشه ما يؤذيه فيردعه الجبن عن الحسد . فترى أن الرهبة من وسائل البطش عنـد صاحب المال والجاه تعمل أيضاً عمل الرغبة في الاستفادة من التحبب اليه ، وكلتاهما تضعف الحسد في نفس الحسود

ومظاهر العقل المكتسب لا ينالها من حسد الحاسد قدر ماينال مظاهر العقل الموروث ، فالعلم الذي ينال بالاجتهاد هو من مظاهر العقل المكتسب الذي يستطيع كل مثابر أن يناله ، أما العبقرية في شتى مظاهرها فلا ينالها المحروم بالجد والاجتهاد ، ويأسه

منها واقع لا محالة ؛ وهذا اليأس هو منشأ غيظ المحروم منها ومنشأ حسده ، ولا يردعه عن كيد الحسد خوف البطش ، لأن العبقرى قلما تتوافر لديه أسباب البطش توافرها عند صاحب الجاه والمال . فالجبن الذى يحذر الحاسد من بطش المحسود إذا كان ذا مال وجاه يتطلب فى نفس الحسود ما يزكيه وما يداوى أله وما يخالط النفس عنه كى لا تعتريها الذلة والاحتقار من أجله بأن يتحول الجبن استطالة وكيداً لصاحب العبقرية الذى فقد وسائل البطش أو لمن خيلت فيه صفات العبقرية

ومن أجل ذلك ترى أن المرء قد يؤلف كتاباً فى الجبر أو الحساب أو الهندسة أو غيرها من العلوم فيروج ويقرأ فى شتى المدارس وينشر مؤلفه منه طبعة بعد طبعة حتى يثرى بسببه ويقتنى العقار والضياع ويحصل من أجله على مال كثير فلا يصيبه من حسد الحساد قدر ما يصيب فقيراً من ذوى الفنون أو الفكر الأصيل إذا لمحت فيه مظاهر العبقرية أو خيلت فيه لأن العبقرية استعداد موروث لا أمل للمحروم فى نيله ، واليأس منشأ الغيظ والحسد . أما صاحب العلم المكتسب الذى يؤلف كتاباً يقتنى من أجله فقدرته قدرة مكتسبة يستطيع كل انسان أن ينال مثلها إذا انصرف إلى وسائل نيلها وخصص نفسه لها ، فلا يأس يدعو الى الغيظ والحسد الشديد ؛ وإن كان يصيب صاحب العلم المكتسب حسد عليه فحسد الكسول الذى يستطيع بلوغ العلم المكتسب ولا يتخذ العدة لبلوغه ، وهذا حسد كسول مثل صاحبه الحسود . وإذا كان ذا نقص عقلى يمنع من بلوغ العلم المكتسب فالحسد فى هذه الحالة على العقل الموروث الذى نقص حظه منه

وعلى هذا القياس ترى فى الفنون أستاذ الصنعة الذى حرم العبقرية واكتسب الصنعة بالجد والاجتهاد ، لا يحسد قدر ما يحسد الفنان الذى يرى الناس فيه مظاهر العبقرية ؛ فترى الأول ذا جاه وأصدقاء ومال ولا يحسد على كل هذه النعم قدر ما يحسد الثانى . ومما يزيد الحنق والحقد على ذوى العبقرية فى شتى مظاهرها العلمية والفنية أنهم أناس ذوو نظرات جديدة خاصة ، والناس من أجل كسلهم الفكرى ومن أجل خوفهم من الجديد المجهول غير المألوف يرون صلاح الحياة وضمانها فى الاستمساك بالمألوف ، حتى ترغمهم العدوى شيئاً فشيئاً على الأخذ بما لم يكن مألوفاً لديهم . ومما يزيد فى خوفهم شطط أهل الشطط ؛ وهذه الأسباب إذا عللت جانبا من جوانب الحنق والحقد فانها لم تعلل كل جانب ، ولم تعلل الحسد الذى ينشأ من الرغبة فى شىء حال اليأس دونه . وكثيرا ما يختفى الحسد وراء ستار فيحسب شيئاً آخر غير الحسد . وكثيرا ما يحسب فضيلة من الفضائل لأنه يستتر بستار الفضائل. ويتخذ لباسها لباساً كى يخفى قبح نفسه ، وكى يكون أبلغ فى الكيد لأنه يبيح كل ضعة . والحسد ليس من صفات المحرومين وحدهم ، فان من الموهوبين من هو شديد الحسد . ومنشأ الحسد فى الموهوبين الرغبة فى التفرد بكل إجادة . والعبقرى الموهوب قد يحسد إذا يئس من حيازة شىء جليل أصيل وإن كان عنده مثله . فالرغبة فى حيازة كل فضل ، واليأس من تحقيق تلك الرغبة ، ينشئان الحسد فى صدره كما ينشأ فى صدر المحروم

وقلما يحسد أشباه العامة ذا العبقرية قدر حسد العلماء أو المتعلمين أو الحفاظ المجتهدين له ، فمن أخذ بنصيب من العلم قل أو كثر أحس فقدانه العقل الموروث إذا كان قد حرم صفاته فييأس منها مهما غالط نفسه وادعاها لها . فالمغالطة والحنق الناشئ من اليأس قد يتفق وجودهما فى وقت واحد . والعامة إذا أبغضوا ذوى العبقرية كان بغضهم بسبب جلب العبقريين لغير المألوف من المعانى فى بعض الأحايين وبسبب قلة فهم العامة ، وما ينشأ عنها من الغيظ والخوف والمقت ، فيستثمر الحسود المتعلم هذه الصفات فيهم كوسائل لأشباع حسده ؛ وقد يستثمرها كى يصرف نفوسهم عن أن يحسدوه على جاه أو مال أو كى يزكى نفسه بمعاونتهم فيما يحس من ضعف وجبن نشآ من اليأس والعجز عن الأمر المحسود الذى لا يستطاع نيله لأنه استعداد موروث

عبد الرحمن شكرى

هل الأمريكيون مصريو الأصل ؟

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

مصر تكتشف أمريكا — رسالة أهل مصر — أقدم حل لمشكلة العاطلين — أقدم بعثة فى التاريخ — أول جامعة متنقلة — رحلة يتممها أحفاد الأحفاد

تقدم لنا العلوم بين آن وآن حقائق كنا نجهلها كل الجهل عن أثر قدماء المصريين فى بناء المدنيات . ولشد ما كنا نعجب حينما تنبثق من قبور أجدادنا الأقدمين أشعة من النور تبهر العقول قبل الأبصار ، فترينا أن المدنيات التى قامت فى العالم مدينة فى كثير أو قليل لمنتجات عقول سكان مصر الأقدمين . واليوم نقف وبقية العالم فى ذهول وحيرة إزاء تلك الاكتشافات الجديدة التى قام بها علماء العاديات وغيرهم فى البلاد الأمريكية ، والتى تثبت أن أول من استوطن أمريكا هم المصريون . كذلك ثبت لبعض علماء الأجناس أن المصريين كانوا نواة لبعض فصائل من البشر . ولما كان بعض هذه الحقائق يستند الى وثائق أثرية وآثار طبيعية يرجع عهد البعض منها الى ما قبل التاريخ ، فعلينا أن نلم إجمالا بالتطورات التى حدت بقدماء المصريين أن يسلكوا ذلك السبيل

يجزم كثير من علماء التاريخ القديم بأنه كان لمصر مدنية تفوق فى تقدمها وازدهارها وشيوعها كل ما عداها من المدنيات . ومن الطبيعى أن هذه المدنية لم تكن إلا نتاجا لسابق جهود تمت خلال عشرات المئات من السنين واصل فيها شعب النيل الفكر والعمل مدفوعا بقوة روحانية يستمدها من مثله الأعلى الذى نصبه لنفسه ، والماثل فى تهذيب الطبيعة لتجميل الحياة

ولا عجب أن يكون العظمة طابع تفكيره ، وهو الذى آلى على نفسه أن يهذب الطبيعة ويجمل الحياة ، إذ لا شىء أعظم من الطبيعة أو أشمل للحياة من الحياة . ولو أن هذا الشعب لم يتصدر لأعظم حلم عرفه التاريخ (وستمر بك تفاصيله) ، ولم يبذل جهود الجبابرة لتحقيقه ، ثم لم يظفر ببغيته منه ، لما كان أهلا لرسالته

وكان المصريون بما لهم من عقول رياضية قد تحققوا أن هنالك بلادا شاسعة غنية بخيراتها ، زاخرة بثروتها الطبيعية ، لا زالت بكرا . فسموا اليها ليؤدوا رسالتهم فيها ؛ وكانت تلك البلاد هى التى أطلق عليها فيما بعد اسم « أمريكا » . وكان العلماء فى مصر قدروا إذ ذاك موضع أمريكا تقديرا لا خطأ فيه ، بدليل أن المصريين فى ترحالهم الى تلك البلاد لم يضلوا الطريق فى الوصول اليها ، ولم تبتلعهم صحارى ومجاهل آسيا . كذلك لم يغوهم بلد كالهند لوثيق معرفتهم أن الثروة الطبيعية فى أمريكا أوفر منها فى الهند وأعظم

وكانت المدنية المصرية وصلت إلى حد عرفت فيه مشكلة البطالة ، وتكاثر فى البلاد عدد العاطلين من العمال والمفكرين . ولم يك ذلك إلا نتاجا لسوء نظام الطبقات السائد إذ ذاك . وخشيت الطبقة الحاكمة أن يتصدى العاطلون لنظام الحكم والنظام الاجتماعى ، فأوعزت إلى العلماء بالدعاية لفكرة استغلال أغنى بقاع العالم : أمريكا . وكان الضيق قد حل بالعاطلين من أبناء مصر فتقبلوا الفكرة ونظموا جموعهم واستقر قرارهم على الرحيل إلى بلاد الأمل والرجاء ، وانتظم فى سلك هذه الرحلة العمال والفلاحون والعلماء والفنانون — كل بعدته وأداته . ولم تكن هذه الحملة قاصرة على جحافل من رجال أشداء ، بل كان الشيوخ والنساء والبنات والبنون ضمن عناصرها . وهذه الحملة أو البعثة الجامعة إلى الدنيا الجديدة كانت أشبه ما تكون بأمة كاملة تحمل فى نفسها كل عوامل الحياة ووسائلها . وليس من المحتمل اليوم أن يجود التاريخ ببعثة تماثلها من حيث التكوين أو العظمة أو الغرض . ولا بد لتنظيم هذه الرحلة والسهر على إنجاحها من عقول راجحة قد يصعب علينا اليوم تصور جبروتها وعتوها . وكان على الجحافل التى تنزح يوميا عن أرض النيل — وكلهم من العاطلين — أن تعمل منذ الساعة الأولى من الرحلة على الانتاج ، كل فيما اختص به . ولم يكن أساس حياتهم الجديدة حب الذات ، كما كان الحال فى مصر ، بل كان التفانى فى التضحية لخدمة المجموع رائد الكل ، فحل تعاون الجماعات محل الاستئثار ، وغلبت الاخوة بين الجميع على فوارق الطبقات ، وتمتع هؤلاء الرحل بحرية لم يعرفوا لها نظيرا على ضفاف النيل . وكان صدق حبهم وخالص نيتهم فى تحقيق حلمهم العظيم يغريهم بالتمادى فى التضحية . ولا يمكننا اليوم ونحن فى القرن العشرين وطرق المواصلات ميسورة وعديدة

وأغلب البلاد مأهولة وعامرة ، تقدير المشاق التي عاناها أجدادنا في اجتياز تلك البقاع . ويرجع تذليل كل صعاب انتابتهم إلى الذهن المتقد وقوة الساعد والايمان بصدق الرسالة . ولا شك أن العزيمة واطمئنان النفس كانت تتملك تلك الجماعات من الناس منذ بدء الرحلة التي قاموا بها ، فاخترقوا صحراء سينا إلى فلسطين فسوريا فتركيا فالعراق فبلاد الكرد فايران فالتركستان فشمال الهند ، ومنها إلى سهول وصحارى سيبيريا الشاسعة حتى ظهر لهم البحر . ولقد قاومت هـذه الجماعات الجوع والعطش والقيظ والبرد والحيوانات المفترسة والطيور الجارحة والمتوحشين من الهمج وتغلبت عليها جميعاً . بل لقد اجتازت مناطق لم يكن للبشرية فيها من أثر . ولما أن وصلوا إلى أبعد نقطة من شرق آسيا أخذوا يصنعون الفلك الذي اجتاز بهم البوغاز المعروف باسم « طريق بيرنج » حتى وصلوا إلى شبه جزيرة السكا

ويقول الأستاذ الدكتور هردليكا مدرس علم الأجناس في معهد سميث سونيـان بأمريكا : « إن الطارقين الأولين للدنيا الجديدة اتخذوا جزيرة كودياك قاعدة لهم وجعلوها مركز اتصال بين من تخلفوا منهم في آسيا ومن تقدموا منهم في أمريكا ؛ وهؤلاء اجتازوا السكا ونزحوا إلى كولومبيا البريطانية فولايات واشنجطن وأوريجون وكاليفورنيا الواقعـة على المحيط الهادئ . ولم يجد المصريون رواد أمريكا آدمياً واحداً أو أثراً لآدمي ، ولـكنهم وجدوا حيوانات مَرَدة متوحشة يعلوها الشعر الكثيف المتهدل . ومن هذه الحيوانات المـامونت والفيلة العاتية وغيرها مما كان يجتاز الأحراج والبراري في تلك الأرض البكر »

ويسلم الباحثون بأن « رواد أمريكا الأول كانوا على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام والمخاطرة » « وأنهم انقسموا إلى فريقين : فالفريق الأول ذهب إلى الشرق ، والفريق الآخر اتخذ طريقه إلى جانب مجرى الأنهار الكبرى حتى وصـل هؤلاء المصريون الى المحيط الأطلنطي . وهكذا قطعوا ثلاثة آلاف من الأميال على أقل تقدير » . ويميل العلامة الأستاذ بنيت عضو المعهد الأمريكي للمباحث الخاصة بالهنود الحمر إلى « أن المصريين لم يقفوا عند الشاطئ بل ركبوا البحر حتى بلغوا الجزر المترامية في المحيط والمعروفة اليوم باسم جزائر الهند الغربية » . ويتفق علماء

الآثار الأمريكيون في القول بأن « الفريق الآخر الذي سار جنوباً اخترق بلاد المكسيك وأواسط أمريكا وأحراج استموس في بناما . ثم تدرجوا إلى مجاهل أمريكا الجنوبية » . ومن أمد قريب رحل جماعة من علماء الأمريكان إلى بوليفيا لعلهم يقفون على أثر للجماعات الرحل التي تقدمت التاريخ ، « هؤلاء الرحل الذين قدموا من وادي النيل قبل أن يقدم أمريكا بأجيال عدة قبائل الآنـكاس » على حد تعبيرهم . وسرعان ما وفقت هذه البعثة في عملها ، فقد جاء في تقرير الأستاذ بنيت : « إننا وجدنا حول بحيرات تيتيكاكا في بوليفيا آثار مدنيات يرجع تاريخها إلى ما قبل عصر الأنـكاس » . وجاء في هذا التقرير « وعلى مقربة من البحيرات وجدنا خرائب متفرقة . ولـما أن كشفت عنها الأتربة ظهرت خمسة أبنية كانت على ما يظن معاهد دينية » . ولا زالت هذه البعثة مستمرة في أبحاثها . والاعتقاد السائد بين أفرادها أنها سوف توفق الى اكتشاف مبان ومـدافن أخرى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ

كذلك وفق الأسـتاذ هردليكا إلى اكتشاف في كوبا يؤيد وجود اتصال ثقافي ومدني بين الشعوب القديمة والشعوب الشمالية في جزيرة كودياك وقبائل ماياس في أمريكا . ومن المسلم به « أن جميع السكان الشماليين ومن بينهم الاسكيمو هم من سلالات العنصر الذي نزح إلى البلاد الأمريكية عند بدء تعميرها » . ولما أن وجد الدكتور هردليـكا جمجمة في إحدى حفريات جزيرة كودياك مال الى رأيه كثير من العلماء وهو « أن تلك الجمجمة هي صلة الوصل بين جميع هذه الأجناس البشرية التي عمرت أمريكا » . وهي جمجمة لرئيس قبيلة كما يزعم الدكتور هردليـكا ، ويضيف إلى زعمه هذا أن أتباع هذا الزعيم اقتطعوا من لحمه حياً والتهموه التهاماً لفرط اعجابهم بكفاءته وفضائله . وهـذه العادة كانت متبعة إذ كان يأكل الأتباع سيدهم وهو حي . وكذلك يفعلون مع زعيم أعدائهم اعتقاداً منهم أن ميزاته ومقـدرته سوف تتقلص فيهم بعد أكل لحمه . وقد وجدت في جمجمة هذا الزعيم عين صناعية صنعت من سن الفيل وجعلت الحدقة حجراً كريماً . وكانت قبائل الاستكن والماياس تصنع مثل ذلك إبان ازدهار حضارتهما . وكان الدكتور بنيت أمضى عدة أسابيع

فى أبحاثه بمدينة بيناردل ريو من أعمال جزيرة كوبا فوجد فيما عثر عليه مائتى ملعقة من المحار وكثيرا من المطارق الحجرية والأوانى المنزلية المصنوعة من الخشب وغيرها من الأدوات التى تتمثل فيها البساطة والفطرة . كذلك وجد فى هذه المدينة جمجمة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ . ويرى فيها الدكتور بنيت حلقة الاتصال بين الهنود الحمر الأول وسكان جزائر الأنائيل ، وقد ثبت له كما ثبت لغيره من قبل أن موطن الآباء الأول للهنود الحمر من سكان أمريكا هو وادى النيل

ومما لا شك فيه أن رحلة العاطلين المصريين هذه إلى أمريكا وكوبا وجزائر الهند الغربية دامت بضع مئات من السنين . وأن عدداً من الأطفال ولدوا أثناء السفر وشبوا وعاشوا وماتوا على بعد عشرات المئات من الأميال من الموضع الذى أبصروا فيه لأول مرة نور العالم من دون أن يصلوا إلى أرض الأمل والرجاء ، فورث الأبناء الرسالة وأخذوا على عاتقهم تحقيقها

وليس فى استطاعة أحفاد الأحفاد بناء مدنية فى أمريكا تشبه كل الشبه المدنية التى أقامها المصريون على ضفاف النيل مع أنهم لم يحظوا بالعيش فى مصر يوماً لغز قط ، فقد كان هؤلاء الرحل من بدء ترحالهم إلى الدنيا الجديدة يعدون العدة لتوفير أسباب اتمام المرحلة التالية . فان وجدوا الأرض خصبة والماء ميسوراً زرعوا الغلال والفاكهة والخضر والزهور وحملوا معهم ما أرادوه ميرة لهم فى سفرهم . وكما أن بعضهم كان ينسج الصوف والكتان وغيرهما ملابس وأردية وخياماً ، كان البعض الآخر من أصحاب الحرف يلقن الصبية صناعته . وكانت تعقد قبل مسير كل يوم وفى الصباح من أيام الاقامة حلقات يدرس فيها العلماء علمهم ويقدم فيها الفنانون تجاربهم . وكان لكل علم وفن دراسات وحلقات وفصول أولية وإعدادية وعالية . فكانت كل أنواع الثقافات المعروفة فى ضفاف وادى النيل تقدم دون تمييز إلى كل الأفراد . وهكذا عرفوا كيف يضعون بين حياة الفطرة وحياة أحفادهم سداً منيعاً . ولما كان لكل فرد فى القافلة حق تلقن العلم ودرس الفن الذى يميل اليه أصبح الجميع أحرار الفكر أحرار العمل ، خاصة وقد تخلصوا من سلطة رجال الدين . وكان على طلبة الأمس أن يعلموا صبية وبنات اليوم . وهكذا احتفظ بمستوى الثقافة

وقد وجه السؤال التالى الى بعض الهيئات :

إذا كان حقاً أن المصريين عرفوا موضع أمريكا الجغرافى وعلموا بتفوق ثروتها الطبيعية ، فلم لم يركبوا البحر اليها مباشرة من شواطىء البحر الأحمر ؟

وما أيسر الجواب على ذلك . إن المسافر فى البحر خاصة فى تلك السفن القديمة العهد ، كان مضطراً الى هجر صناعته وعدم مزاولته لها ولكثير من دعائم الثقافة وأسس المدنية . وكيف يزاول فى السفينة فلاحة الأرض وزراعتها ، ونحن نعلم أن المدنية المصرية كان أساسها الزراعة ؟ وإذا كان هذا حال الفلاح فكيف يكون حال أولاده وأحفاده . كذلك تدريس العلوم والفنون أثناء سفر السفينة بعيد الاحتمال ، فلا يرجى للناشىء أن يقف على مدنية جديدة عليه أن يبنيها من أساسها فى أرض جديدة . والأمر الثانى كيف يجوز لهؤلاء العاطلين وهم جماعات عدة أن يحصلوا على المواد الغذائية لمدد طويلة قد تربو على العام ؟ ولو أن المصريين الأقدمين ركبوا البحر الى أمريكا لما وصلوا إلى الدنيا الجديدة ولما وجدنا هنالك أهراما وتماثيل ومبانى تماثل ما نراه على ضفاف النيل للعهود القديمة . أما وقد أنشأوا مدنية جديدة فى أرض بكر ، وأدوا رسالتهم على الوجه الأكمل فأولى بنا أن نقتبس من روح نظام مجتمعهم الذى مكنهم من تحقيق أكبر حلم عرف فى التاريخ

ابراهيم ابراهيم يوسف

مراجع البحث :

1) Hartman Pieper :
Die Gesetze der Welt geschichte : Aegypten

2) A Gessler :
Die aegypptische Fahrt hach Amerika

للتاريخ السياسي :

٥ ـ اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

أما مسيو فان زيلاند ، فقد ألقى خطاباً مرتب العبارة أنيق الأسلوب مؤثراً ، وقد مس فى خطابه شعور كل من سمعه . . وقال إنه لا يوجد بلاد فيها الخوف أشد مما هو فى بلجيكا ، وإن هذه البلاد الصغيرة لا تملك ما يطمئنها على سلامتها غير معاهدة لوكارنو . . . وقد اعتدى على حق بلجيكا التى تحترم المعاهدات والجيران اعتداء لا مبرر له . . . فبلجيكا لم تكن عضواً فى المعاهدة الفرنسية الروسية التى اتخذها الهر هتلر حجة لتمزيق لوكارنو . ولا ينبغى أن تتوقف قيمة الامضاء على معاهدة على قيمة قوى الذى وقع على تلك المعاهدة ...

وبعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٦ مارس اجتمع مجلس العصبة اجتماعاً خاصاً ثم اجتماعاً سرياً داما مدى أربع ساعات ، ودام البحث خلال ذلك عن الجواب الواجب ارساله الى الحكومة الألمانية ، وعن الأصول الواجب اتباعها للوصول إلى القرار الذى يصدره المجلس . وبعد نقاش طويل تقرر ارسال برقية إلى الهر هتلر يخبره فيها بأن لألمانيا الحق فى الاشتراك فى مناقشة المجلس لطلب فرنسا وبلجيكا على قدم المساواة مع بقية الدول ؛ ولا اعتبار لأصوات دول لوكارنو الثلاثة فى تقرير التصويت الاجماعى . أما فيما يتعلق بالشرط الثانى فليس من اختصاص المجلس إعطاء التأكيد الذى تطلبه الحكومة الألمانية

وقرأ مسيو فلاندان طلب حكومة فرنسا وبلجيكا الذى تقولان فيه بأن على مجلس العصبة أن يقرر بأن ألمانيا قد اعتدت على ميثاق لوكارنو ومعاهدة فرساى ، وأن يقف فوراً دول لوكارنو على القرار — وبعد نقاش قصير فضت الجلسة

* * *

وقبل أن تجيب حكومة برلين على برقية مجلس العصبة ، أرسلت صباح الثلاثاء ١٧ مارس الى حكومة لندن ، بواسطة سفيرها فى برلين برقية تقول فيها بأن الحكومة الألمانية تأمل من حكومة جلالته بذل جهودها ، فى الظروف الحالية ، للمفاوضة على المنهاج الألمانى فى الوقت المناسب مع الدول ذات الشأن فيه . فأسرع مستر ايدن فى أخذ رأى ممثلى فرنسا وبلجيكا ثم أجاب حكومة برلين قائلاً : « إن حكومة جلالته باذلة كل جهدها للوصول الى حل سلمى مرض للمشاكل الحالية . وإن الحكومة البريطانية تؤكد بأن (اقتراحات المستشار) ستناقش فى الوقت المناسب كغيرها من اقتراحات الدول ذات الشأن فى الموضوع »

وفى اليوم عينه اجتمع مجلس العصبة فى الساعة الثالثة والنصف وعقد جلسة سرية حسب اقتراح رئيسه ليسمع تصريحاً من ممثل بريطانيا . وقد أطلع مستر ايدن المجلس على برقية حكومة برلين وجوابه عليها . وبعد جدال عنيف حول الموضوع تقرر أن برقية الحكومة الألمانية لا تعد جواباً على برقية المجلس ، وأن على المجلس فتح المناقشة حول طلب فرنسا وبلجيكا . وقد حض ممثلا فرنسا وبلجيكا على النقاش الفورى ، وأخذ مسيو فلاندان يتكلم بحدة عن ضياع الوقت دون الوصول الى نتيجة

وبينا هم كذلك إذ سلمت برقية إلى مستر ايدن ، تفيد بأن الحكومة الألمانية قد قررت ارسال مبعوث الى لندن . وبعد بضع دقائق « تَلْفَنَ » سفير ألمانيا فى لندن الى رئيس المجلس ليقفه على الخبر . وعلى ذلك انفضت الجلسة ليقوم الممثلون باستشاراتهم الخاصة

وفى نفس اليوم عقدت الجلسة ثانية وكانت سرية أيضاً . ودار الحديث حول تأجيل المناقشة العامة حتى وصول ممثل بريطانيا ، فعارض مسيو زيلاند فى ذلك ، وأخبر مسيو فلاندان المجلس بأنه يجب أن يؤخذ القرار صباح الخميس ، لأنه سيغادر لندن إلى باريس فى ذلك التاريخ . وهكذا تقرر أخيراً افتتاح الجلسة العمومية والبحث فى دعوى فرنسا وبلجيكا ، وكان ذلك فى الساعة الخامسة والنصف

وتكلم فى هذا الاجتماع ممثلو تركيا والروسيا وشيلى . وكان أهم ما جاء فى الخطب انتقادات الرفيق لتفينوف الشديدة والصريحة لانتهاك ألمانيا ميثاق لوكارنو . وقرأ جملاً من كتاب

« كفاحى » توضح أن ألمانيا كانت مصرة على احتلال أراضى الرين عسكرياً وتسليحها لتتمكن من نشر نفوذها على أوروبا جميعها

وتابع مجلس العصبة اجتماعه فى اليوم التالى ، وتكلم جميع ممثلى الدول عدا الرئيس وممثل بلاد « الايكوادور » بسبب مرضه ، وأهم الخطب كانت خطب مستر إيدن والسنيور جراندى والكلونيل بيك Beck ، أما الهر ريبنتروب فلم يصل فى الوقت المحدد ، ولذلك ألقى خطابه يوم الخميس ١٩ مارس

وبعد أن أبان مستر إيدن أن ألمانيا هدمت معاهدة لوكارنو بعملها فى ٧ مارس قال : « إن واجباتنا ليست فقط التصريح بأن اعتداء قد حصل ، بل يجب أن نضع نصب أعيننا غايتنا السامية ، ألا وهى الاحتفاظ بالسلام ، وإقامة حسن التفاهم بين أمم أوروبا على أساس متين ودائم . ما ذاكان مقصد لوكارنو ؟ لقد كان لها مقصدان : أولها الاحتفاظ بالسلام ، وثانيهما خلق ثقة دولية بتأمين السلام فى غربى أوروبا . وإننى أصرح بأن موضوعنا اليوم هو هاتان النقطتان . . . واستمر يقول بأن الحالة الراهنة التى تولدت عن أعمال ٧ مارس حرجة جداً ، غير أن هذه الحالة تحتوى على شيئين مهمين يجب لفت النظر اليهما :

أولها : أن تمزيق لوكارنو لم يحمل معه أى تهديد عدائى ، ولا يوجب العمل الفورى الذى توجبه معاهدة لوكارنو فى بعض الظروف

ثانيهما : مهما تكن الحالة خطرة فانها أوجدت فرصة سانحة لتوليد حسن التفاهم وبناء العلاقات الدولية على معاهدات يحترمها الجميع ويود بقاءها . . .

أما الأمر الأول الذى لفت مستر إيدن اليه النظر فيخالف نص معاهدة لوكارنو الذى يقول بأن احتلال أراضى الرين يعد عملاً عدائياً ، ولدول لوكارنو الحق فى اتخاذ إجراءات عاجلة فعالة . وأما النقطة الثانية فلا يستطيع مستر إيدن تأكيدها ، إذ هو لا يستطيع ضمان محافظة ألمانيا على المعاهدات التى ستعقد معها . ألا يمكن لحكومة النازى أن تقوم بعد سنين بمثل العمل الذى قامت به فى ٧ مارس بحجة أن المعاهدة التى وقعتها لم تعد تسير مع رغائب الأمة فلا قيمة لها ، وأن الحكومة الألمانية فى حل منها !

واجتمع مجلس العصبة صباح الخميس الموافق ١٩ مارس لسماع خطاب الهر فون ريبنتروب واتخاذ القرار . وفى بادىء الأمر عقد اجتماع خاص طلب فيه ممثل الهر هتلر ترك فاصل من الوقت بين نهاية خطابه وأخذ القرار للتفكير . فصرح مسيو فلاندان حالاً ، وبدون تردد ، بأنه يعضد هذا الاقتراح . وفى الساعة العاشرة والنصف عقد الاجتماع العام . وأومأ الرئيس إلى الهر ريبنتروب ، فقام وقرأ خطابه بالألمانية (مع أن اللغتين الرسميتين فى عصبة الأمم هما الفرنسية والانكليزية) ، وبصوت هادىء ودون إشارة مدة نصف ساعة ، ولم يأت فى دفاعه ببراهين جديدة تبرر أعمال ٧ مارس ، بل كان الدفاع مبنياً على أن حكومة فرنسا اعتدت على لوكارنو بعقدها مع الروسيا ميثاقاً آخر ؛ وأعاد تأكيد الهر هتلر بأن الحكومة الألمانية تود السلام

وبعد أن ترجم الخطاب إلى الفرنسية والانكليزية ، انفضت الجلسة ليجيل الأعضاء الفكر فيه

وعندما اجتمع أعضاء المجلس فى الساعة الثالثة والنصف ألقى الرئيس بروسى كلمته كممثل لحكومة استراليا ، وأخبر بأنه سيصوت مع طلب فرنسا وبلجيكا

ثم جرى التصويت على القرار — resolution — وهذا نصه :

« إن مجلس عصبة الأمم ، حسب دعوى فرنسا وبلجيكا ، المقدمة إليه فى ٨ مارس ١٩٣٦ ، يرى بأن الحكومة الألمانية قد خالفت المادة ٤٣ من معاهدة فرساى بارسالها فى ٧ مارس سنة ١٩٣٦ قوى حربية إلى الاقليم غير المسلح ، والمنوه عنه فى المادة ٤٢ والمواد التالية من تلك المعاهدة وفى معاهدة لوكارنو ، وإقامتها فيه . انه يخبر السكرتير العام حسب نص البند ٢ من المادة ٤ من معاهدة لوكارنو لكى يرسل قرار المجلس هذا حالاً إلى الدول الموقعة على تلك المعاهدة »

وقد أخبر الرئيس بأن لجميع الممثلين حق التصويت ، غير أن أصوات المتخاصمين لا تعد لمعرفة ما إذا كان التصويت بالاجماع

وكان جواب ممثلى الدول إيجابياً « نعم » . أما جواب ممثل الهر هتلر فكان « لا » . ولم تكن حكومة اكوادور ممثلة فى هذا الاجتماع ؛ ولقد تغيب عن التصويت ممثل شيلى

وهكذا أخذ القرار بمخالفة أعمال ٧ مارس لمعاهدتى فرساى ولوكارنو بالاجماع ؛ وانتهت بذلك الدورة ٩١ غير العادية لمجلس العصبة ؟

يوسف هيكل

بعض أبطال النقــــد

وأثرهم فى نهضة الآداب الأوربية

عند ما قرأت مقال الأستاذ صاحب (الرسالة) فى فوضى النقد فى مصر، ثم قرأت فى الأسبوع التالى مقال الأستاذ أحمد أمين، بدا لى أن أقدم للقراء طائفة من النقاد الأوربيين كان لهم أكبر الأثر فى نهضة الآداب كل فى مملكته . وقد اشترك هؤلاء فى فضيلة واحدة جعلت لكتابتهم قيمتها ، تلك الفضيلة هى أنهم لم يقيموا من أنفسهم قضاة يصدرون أحكامهم على الأدباء ، ولا اتخذوا من أنفسهم شتامين سبابين ، يخرجون عن موضوع النقد إلى الخوض فى الأعراض وانتقاص الشاعر أو الكاتب بكل ما يضع من قدره ، ويحط فى أعين القراء من شأنه ... بل هم كانوا يعرضون بضاعة الأدباء على القراء، ويعينونهم على تقديرها بالنقد والتحليل ، ويلفتون أنظارهم إلى ما فيها من جمال أو قبح ، ثم يتركونهم يصدرون أحكامهم من تلقاء أنفسهم . وأحسب أن لو اتبعت هذه الطريقة فى مصر لعادت على الأدب والأدباء بأكبر النفع ، ولا سيما إذا لم تقحم السياسة والأحن والتعصب فى المسائل الأدبية التى ينبغى أن تظل بريئة خالصة لوجه الحق والأدب

أما هؤلاء النقاد الأوربيون فهم : لسنج الألمانى ، وسانت بيف الفرنسى ، وبلنسكى الروسى ، ثم كولردج ، وشارل لامب ، وهازلت ، وأرنولد الانجليز

١ - لسنج

كانت أوربا كلها إلى ما قبل القرن الثامن عشر تُعيّر ألمانيا بالافلاس الأدبى ، وكانت ألمانيا تنظر إلى خصيمتها فرنسا نظرة كلها حسد وكلها غيرة ، وإن كان هذا الحسد وتلك الغيرة لم يمنعاها من أن تكون التلميذة المؤدبة المعترفة بالجميل لفرنسا ، ذلك لانتشار الأدب الفرنسى بين الألمان فى ذلك الوقت انتشارا كان يأخذ السبل على كل الآداب الأوربية ، فما يستطيع أحدها النفاذ إلى ألمانيا ، بما فى ذلك الأدب الانجليزى الذى كان بطبعه أقرب إلى ذوق الألمان . فلما ولد جوتهولد إفرايم لسنج Lessing سنة ١٧٢٩ دقت البشائر فى ألمانيا كلها ، وأخذ الكابوس الذى كان يجثم على صدرها ينظر إلى هذا الطفل ويعد العدة للرحيل !

قضى لسنج أيامه الأولى متنقلاً بين ليبزج وبرلين ؛ وكان أبواه قد نذراه للكنيسة ، لما كان للرهبان فى تلك الآونة من عظيم الشأن فى ألمانيا ؛ ومن هنا كان الصراع الهائل فى نفس الشاب بين ميوله الأدبية الفطرية وبين التزمت الدينى فى الفكر الذى يقسر عليه رجال الدين عادة ، فصبأ من تلقاء نفسه ، واحترف الأدب

وكان لسنج يبغض الأدب الفرنسى ويبغض الأدباء الفرنسيين وفى مقدمتهم فولتير ؛ وأكبر الظن أنه كان يصدر عن عصبية وطنية صارخة لما كان بين الدولتين من منافسات وثارات . ولم يبرح يكتب ويكتب ، ولم يبرح المسرح يجتذبه اليه ، فعكف أول الأمر ينقد الدرامات الفرنسية التى كانت تكتسح المسرح الألمانى ، ويظهر الناس على ما فيها من ليونة لا تتفق والقوة التى تنشدها ألمانيا . ولم يقف عند حد الكتابة فى الصحف والمجلات ، بل ألف كتابه القيم (تاريخ المسرح) وأصدره سنة ١٧٥٠ ، وهو كتاب خطير حسن يلفت فيه لسنج أنظار قومه بشدة إلى روائع المسرح الاغريقى ، ويقفهم به على أحسن ما جادت به قرائح إسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرسطوفان . ثم يدعوهم به إلى الايمان باليونان والكفر بفرنسا . وكان هذا الكتاب أول محاولة صادقة لاحياء الدرامة الكلاسيكية ، وقد هرع اليه أدباء ألمانيا فتخذوا منه إنجيلا يبشر بأدب جديد ؛ وافتتن به جوته فبشر به ؛ وجعله شيللر ناموسه الأكبر الى أدب المجد والخلود

وكان لسنج يعجب أيما إعجاب بشاكسبير ، فدأب على الدعوة له فى ألمانيا حتى أفلح أخيراً فى صرف الشباب الألمانى اليه . وقد حفظ له الانجليز هذا الجميل فنقلوا الى لغتهم كل ما كان يكتب ويؤلف

وقد تمت هزيمة الاتجاه الفرنسى فى ألمانيا حينما أصدر لسنج مأساته الخالدة (الآنسة سارة سامپسون) سنة ١٧٥٥ التى كانت بحق أولى ثمار الأدب القوى الألمانى المستقل . وبعد هذه الدرامة

فرغ لسنج للنقد فأرشد ألمانيا كلها لما فيه خيرها ولما فيه صلاح نهضتها

وفى سنة ١٧٦٦ أصدر لسنج قصته البارعة (لاوكون) التى اتفق كل مؤرخى الآداب على أنها أعظم نتاج أدبى صدر فى القرن الثامن عشر بطوله . والقصة تدور على حوادث النبى الطروادى لاوكون الذى وعظ قومه ألا يقربوا الحصان الخشبى وألا يدخلوه الى مدينتهم لأنه سيكون شراً عليهم . وقد لخصت (الرسالة) هذه الحادثة فى باب القصص فى آخر جروب طروادة . وبحسب هذه القصة أن يقول فيها جوته : « يجب أن نرتد طفرة الى ميعة الشباب وحرارته كى ندرك حقيقة الأثر العميق الذى تركه فينا لسنج بقصته العبقرية (لاوكون) التى انتشلتنا من صفوف المتفرجين التاعسين البلداء الى صفوف المفكرين المنتجين العظماء ! » وقد عرض لسنج فى ثنايا القصة الى ضروب من النقد الحر المعتدل البعيد من الصلف جعلتها قانونا عاما لهذا الفن الذى هب أدباؤنا اليوم يشكون مر الشكوى من المتطفلين عليه بغير الحق

٢ — سانت بيف (١٨٠٤ — ١٨٦٩)

لا يستغنى طالب الأدب الفرنسى عن كتاب Causeries du Lundi (أحاديث الاثنين) لسانت بيف ؛ بل لا نبالغ إذا جزمنا أنه لا غناء لمتأدب فى أى أمة عن هذا الكتاب الذى لا يعدله كتاب فى النقد الأدبى فى العالم . ولم يكن لورد مورلى مبالغاً حين قال إن من شاء استيعاب الأدب الفرنسى كله فحسبه أحاديث الاثنين لسانت بيف ، فهى ذوق وذخيرة وعدالة ومفتاح ذهبى لكل من يستغلق عليه شىء من هذا الأدب الحافل

وقد عرض سانت بيف لطائفة كبيرة من الأدباء الأنجليز والاغريق فى أحاديثه ، فحلل آدابهم وعرضهم على قرائه عرضاً علمياً شائقاً شهد بعدالته وسموه كبار النقاد الانجليز أنفسهم ، وإن يكن قد قدح فى طريقة الناقد الانجليزى الكبير صموبل جونسون التى عرض بها لجمهرة من الشعراء فى كتابه (حياة الشعراء Lives of the Poets) . ولم يكن سانت بيف متعسفاً فى هذا القدح ، بل كان صائب الرأى فيه الى حد بعيد ؛ ويكفى أن تعلم أن كتاب جونسون هو مجموعة مقدمات لدواوين الشعراء كان يطلب منه تقديمها الى القراء بها ، فكان لا يعنى فيها إلا بابراز محاسن الشاعر والاكبار من شأنه غاضاً الطرف عن عيوبه . يكفى أن تعرف هذا لتتفق مع بيف فى إقلاله من شأن جونسون

وكما قدح بيف فى طريقة جونسون فى نقد الآداب ، فكذلك لم ترضه طريقة مواطنه الكبير بوالو Boileau « لأنه كان ينظر الى الأديب نظرة سطحية ، ثم سرعان ما يصدر حكمه عليه ؛ والناقد العادل ينبغى أن يستعرض حياة الأديب وعصره وبيئته وظروفه فيشرحها للقراء شرحاً مسهباً ثم يدعهم يصدرون أحكامهم ؛ فليس من وظيفة الناقد أن يكون قاضياً . . . »

وأحاديث الاثنين فصول ممتعة كان يحررها بيف فى إحدى المجلات الدورية ثم جمعها وأصدرها فى عدة مجلدات وأردفها بكتابه الرائع فى النقد والأدب والفلسفة Port Royal وقد تناول فيه الحركة الذهنية برمتها فى عهد لويس الرابع عشر

٣ — بلنسكى Belinsky (١٨١١ — ١٨٤٧)

يرجع تاريخ النقد الأدبى فى روسيا إلى عهد الشاعر العظيم بوشكين (١٧٩٩ — ١٨٣٧) وذلك للفصول الممتعة القوية التى كان يوالى نشرها فى المجلة الروسية (الرسول الأوروبى) ينقد فيها الشعر والشعراء منذ فجر النهضة الروسية إلى زمنه . وقد أثارت هذه الفصول حماسة الشباب ولفتتهم إلى درر الآداب العالمية ، وربت فيهم ذوقاً خالصاً شفافاً يزن بالنظرة الواحدة قيم الأدب بنوعيه فى ذلك العصر من شعر ونثر . وقد استجاب لفصول بوشكين زعماء الشباب من أدباء روسيا واجتذبت بعض أمراء البيت القيصرى وفى مقدمتهم الأمير الأديب فيازيمسكى الذى نزل الى ميدان النقد بقلمه — على نهج بوشكين — فى مجلة (كارامزين) (١٨٠٨ — ١٨٧٨) — وانتظمت حركة النقد على صدى سانت بيف حين دخل عنصر الاحتراف فى الصحافة الروسية وقطعت شوطاً كبيراً على يد الصحافى القدير بولفوى Polevoy الذى لفت اليه الأنظار بفصوله الضافية فى نقد الأدب والحياة والتقاليد الروسية ، وإن أغضب الفئة الرجعية التى لا تخلو منها أمة ما . . .

بيد أن هذه الحركة المباركة لم تبلغ أوجها إلا حين تسلمها فتاها الأكبر فخر أدباء روسيا بلنسكى ، الذى وثب من وسط وضيع وأسرة فقيرة وتعليم ناقص مبتور ، فاستطاع أن يتسنم أسمى

ذروة بين مواطنيه ، وأن يرسم الخطط لما ينبغى أن يكون عليه الأدب والاجتماع فى روسيا جميعاً . وكأننا به قد تسلم تراث أسلافه پوشكين ولرمونتوف وجوجول ليغربله ويسقط ما فيه من نفايات ، كما يخلق منه قادة الأدب العالمى الجديد : جوتشريف وهرزن ودستوفسكى وتولوستوى وشيخوف وجوركى . وبحسبك أن تعلم أن الأربعة الأول قد تتلمذوا على بلنسكى ، ورضعوا لبانه ودرجوا فى حجره ، وثقفوا عنه فلسفة هجل وجيته ، وطرائف شاكسپير وروائع الأدب الفرنسى ، وآمنوا عن سبيله ، بأن الفن للحياة ، وليس الفن للفن

ولشد ما كانت روسيا تشبه مصر اليوم من الوجهة الأدبية ، فكان فيها معسكران كبيران ينزع أحدهما الى التجديد والأخذ عن الغرب ، وتسموا باسم (الثائرين) وكان على رأسهم بلنسكى يعاونه ويشد أزره الناقد المحاضر الكبير يوسف لوما يستر ، ويساعدهما الأديب الثقة والناقد المحقق هرزن . أما المعسكر الآخر فهم فئة السلافيين Slavophiles ، وكانوا يتعصبون لروسيا القديمة تعصباً أعمى ، وكان أدباؤهم ينقدون معسكر الثائرين نقداً كله شعوذة وكله رمى بالكفر والمروق من الدين والوطنية

وقد أخذ الأستاذ بركنر Brückner الألمانى فى كتابه (تاريخ الآداب الروسية) على بلنسكى وأضرابه من النقاد الروسيين ما كانوا يحيدون به أحياناً عن قوانين النقد التى وضعها سانت بيف ولسنج وأرنولد ، وقال إنهم حين كانوا يفعلون ذلك كان يجىء نقدهم سطحياً قليل الغناء . وقد رد الأستاذ بارنج (Maurice Baring) فى كتابه (خلاصة الأدب الروسى) على هذا المأخذ بأن بلنسكى ومدرسته كانت تنشد قبل كل شىء خلق أدب قومى روسى بكل معنى الكلمة ينافس الآداب الأوروبية التى كانت تطغى على روسيا نفسها فتجذب اليها جمهور القراء الروسيين ... لذلك كان يضطر أحياناً الى منازلة خصومه بأشد من أسلحتهم فى المهاترة والثلب !

٤ — كولردج وشارل لامب

لو أن كولردج (١٧٧٢ — ١٨٣٤) قصر جهوده على النقد دون النظم لأفاد الأدب الانجليزى أكثر مما أفاده بشعره ، وإن يكن له فى هذا الميدان جهده المشكور . ولقد كانت طريقته فى النقد مثل طريقة مواطنه وصديقه شارل لامب (١٧٧٥ — ١٨٣٤) وإن اختص الأول بعرض أدب شاكسپير أكثر من أى شىء آخر . وكل النقاد الحديثين فى انجلترا يحترمون آراءه فى شاعرهم الأكبر ويعتمدون عليها . وشارل لامب هو صاحب النظرية العجيبة فى نقد الآداب والتى تتلخص فى « وجوب اعتماد الناقد على ذوقه كحاسة سادسة لا على عقله فقط فى نقد الأدب ! » وهو يشرك الروح فى النقد ، ويطلب من الشاعر أن يغنى ويصور ، ويبكى ويتألم ، لا أن ينظم حقائق هذه الدنيا فيكون شعره جافاً ثقيلاً على القلب . فالروح عند شارل للشعر ، والعقل للعلم . وقد كان لامب يثير شغف القراء وإعجابهم بفصوله التى كان ينشرها فى (London Magazine) بامضاء (إيليا) ؛ ولولا أثرته ومدحه لذاته فى هذه الفصول لرفعته الى أسمى مراتب النقاد

٥ — هازلت (١٧٧٨ — ١٨٣٠)

لا تقل مكانة وليم هازلت فى النقد عن مكانة سانت بيف ؛ ويعده الانجليز واضع أسس النقد الأدبى الحديث فى انجلترا ، وهم يقبلون على قراءته إلى اليوم كما يقبل الفرنسيون على قراءة سانت بيف ، وكما يقبل الألمان على لسنج ، والروس على بلنسكى . ويذكر هازلت أن سبب شغفه بالأدب وبالنقد خاصة هو لقاؤه الأول بكولردج الذى كان صديق أبيه ، وكان يزوره فى منزله كأعز ضيف عليه . ولقد حاول هازلت مرة أن يهجر الأدب إلى الفنون ، وشغف فعلاً بالتصوير والرسم ولكنه فشل ، فحطم ريشته وامتشق يراعته ، وكان ذلك من حسن حظ الأدب

وما كاد هازلت ينشر فصوله الأولى فى النقد فى احدى المجلات حتى استرعى انتباه الدوائر الأدبية العليا ، وحتى دعته مؤسسة رسل لالقاء بضع محاضرات فى « نشوء وترقى الفلسفة الحديثة » ، ثم فى « الشعر والشعراء الانجليز » و « كتاب الكوميدى الانجليز » ، و « عصر إليزابث » . ودعته صحيفة المورننج كورونكل لتحرير قسم النقد المسرحى فيها . وأخذ بعد ذلك ينشر فصوله عن (الدائرة المستديرة) فى صحف التيمس والتشامبيون والأجزامينر ، واتصل بمجلة لندن فنشر فيها حديث المائدة وبحثه القيم عن (روح العصر) ، وغير ذلك من الموضوعات الشائقة . وقد شهد البروفيسير سينتسبرى — ولم يغل — بأن فصول هازلت فى النقد قد فاقت غيرها فى جميع الأمم ، ولم يستثن سانت بيف — ولولا ما كان من اعجاب هازلت بنابليون لمبدء الانجليز ولقدسوه تقديساً

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد

[تابع المنشور فى العدد الماضى]

— تلخيص وتحليـــل —

للأستاذ خليل هنداوى

أما غاية صناعة الشعر فلم تخرج عن غاية الفلسفة لأن المؤلف والمترجم فيلسوفان يقيسان كل شيء ، ويقدرانه بحسب فائدته الخلقيـة ، وهما يريدان من الشعر أن يكون عاملاً على تهذيب الأخلاق حاثاً على التخلق بالآداب السامية (وهذا هو الشعر المدرسى قبل أن ينحت الفن أثاثه ، وينخر غرسته) لأن الفن قد ضرب بهذه السدود ، وحطمها أى تحطيم . والشعر الفنى — عند العرب — فى اعتقادى — يغشى على الشعر المدرسى لأن أكثره شعر لا يدل على أن أصحابه كانوا يتورعون فيه . ولعل هذا هو ما دعا أبا نصر الفارابى الى الحملة على هـذا النوع من الشعر الفنى بقوله : « إن أكثر شعر العرب فى النهيم والكريه ؛ وذلك أن النوع الذى يسمونه النسيب انما هو حث على الفسوق ؛ ولذلك ينبغى أن يتجنبه الولدان ويؤدبون من أشعارهم بما يحث فيه على الشجاعة والكرم ، فانه ليس تحث العرب فى أشعارها من الفضائل على سوى هاتين الفضيلتين وإن كانت ليس تتكلم فيهما على طريق الحث عليهما ، وانما تتكلم فيهما على طريق الفخر ، لأن أكثر شعرهم من شعر المطابقة الذى يصفون به الجمادات كثيراً والحيوانات والنبات . وأما اليونانيون فلم يكونوا يقولون أكثر ذلك شعراً إلا وهو موجه نحو الفضيلة والكف عن الرذيلة ، وما يفيد أدباً من الآداب أو معرفة من المعارف » وقد بحث فى العلل المولدة للشعر ، فكان تعليله الاول إلى الفلسفة أدنى منه إلى الشعر . وقد بنى هـذه العلل على ميل الانسان إلى محاكاة الأشياء . وقد تكون — عندى — هذه المحاكاة علة صادقة مبنية على التحليل النفسى ، لأن الشاعر أقرب الناس إلى فهم الطبيعة والعمل على تحسينها وإكمالها « لأنه يلتذ بالتشبيه للأشياء التى قد أحسها وبالمحاكاة لها ليلتذ باحساسها » فما أصدق هـذا الاحساس وما أبعده فى تعليل العلل المولدة للشعر . إن الشاعر يأتى الطبيعة ويستجليها ويستنطقها ويبث فيها الحياة ، ليجعل فيها القدرة على مشاركته فى بهجته . وجاء تعليله الثانى تعليلاً طبيعيا ، نشأ فى الانسان لالتذاذه بالطبع بالوزن والالحان ... وهو فى هذا لا يرى فى الوزن والألحان كل الشعر إن لم تنطو هذه الألحان على محاكاة الطبيعة ؛ ثم يذهب فى اختلاف طبائع الأمم ، فان الأمم التى تغلب الأخلاق عليها تميل إلى مديح الأفعال الجميلة ، والعكس بالعكس . ولا بد من ملاءمة الأوزان والألحان للمعانى ؛ فرب وزن يناسب غرضاً ولا يناسب غرضاً آخر . وعملهما فيه هو أنها تعد النفس لقبول خيال الشىء الذى يقصد تخييله . وثمت علل كثيرة للشعر ، « وانما المحاكاة هى العمود والأس فى هذه الصناعة ، لأن الالتذاذ ليس يكون بذكر الشىء المقصود ذكره دون أن يحاكى . ولذلك

---

٦ — ماثيو أرنولد (١٨٢٢ — ١٨٨٨)

أرنولد من شعراء العصر الفكتورى المجيدين ، ولـكنه خدم الأدب الانجليزى بكتابه القيم (فصول فى النقد Essays in criticism) أكثر مما خدمه بشعره ؛ ويكاد أرنولد يتفق وهازلت فى طريقته فى نقد الآداب ، غير أنه يمتاز من هازلت بأنه يخلق من القارئ نفسه ناقداً للموضوع أو الأديب الذى ينقده ، فما يكاد أحد يتلو فصولاً من كتابه حتى يحس من نفسه القدرة على النقد ، كأنما قد تقمصه أرنولد ! وهذا ما أفاض فى شرحه الأستاذ هربرت پول فى كتابه عن أرنولد ؛ ولولا تشكك أرنولد وكثرة حيرته ، وهما عيبان يبدوان كثيراً فى فصوله ، لمـا قل فى مرتبته عن هازلت وعن سانت بيف

وبعد ، فهذه لمحات خاطفة لسادتنا نقاد الآداب عن زملائهم (!) فى بعض الأمم الأوربيـة ، نرجو أن يهتموا بدراستهم فى المراجع التى أشرنا اليها ثم ينقدوا بعـد ذلك ما يشاؤون

(د . خ)

لا يلتذ الانسان بالنظر إلى صور الأشياء الموجودة أنفسها ، ويلتذ بمحاكاتها وتصورها بالأصباغ والألوان ؛ ولذلك استعمل الانسان صناعة الزواقة والتصوير . وهل كانت غاية المدح مثلاً إلا محاكاة الناس من قبل عاداتهم الجميلة وأمثالهم الحسنة واعتقاداتهم البعيدة ؟ ولعل أرسطو كان أكثر انصافاً لرسالة الشعر منه لرسالة الخطابة « فقد اعترف لها بأنها ليست مبنية على الاحتجاج والمناظرة ، وبخاصة صناعة المديح ، وبذلك ليس يستعمل المديح صناعة النفاق كما تستعملها الخطابة » ، وبهذا أحسن إلى الشعر ؛ وهل المادح يمدح إلا عن اعتقاد . . . . . وأساء إلى الخطابة — ولكن النفاق قد يدخل الشعر كما يدخل الخطابة ، وقد يبرأ الشعر منه كما تبرأ الخطابة منه بحسب قوة الاعتقاد وصدقه عند الشاعر والخطيب

صناعة المديح وأجزاؤها

قد أسهب ابن رشد فى هذا الباب ما شاء له الاسهاب ، لأنه رآه أكثر انطباقاً على محاكاة الأخلاق الفاضلة . والفلسفة تكره المحاكاة لمجرد المحاكاة إلا أن يكون من ورائها غرض أو معنى شريف من معانى التهذيب . وقد تصدى لعلة فى الشعر لا تزال فاشية فى شعرنا ، هى علة « الاستطراد » فى القصيدة الواحدة ، « ويشبه أن يكون جميع الشعراء لا يتحفظون بهذا بل ينتقلون من شيء إلى شيء ، ولا يلزمون غرضاً واحداً بعينه ماعدا (هوميروس) فى اليونان . وأنت تجد هذا كثيراً ما يعرض فى أشعار العرب والمحدثين وبخاصة عند المدح ، أعنى أنه إذا عن لهم شيء ما من أسباب الممدوح مثل سيف أو قوس اشتغلوا بمحاكاته وأضربوا عن ذكر الممدوح . وبالجملة فيجب أن تكون الصناعة تتشبه بالطبيعة ، أعنى أن تكون إنما تفعل جميع ما تفعله من أجل غرض واحد وغاية واحدة ، واذا كان كذلك فواجب أن يكون التشبيه والمحاكاة لواحد ومقصوداً به غرض واحد ، وأن يكون لأجزائه عظم محدود ، وأن يكون فيها مبدأ ووسط وآخر ، وأن يكون الوسط أفضلها

أما تعريفه للمحاكاة من حيث الخلق والابداع فهو تعريف نم عن إحساس عال بالشعر ، فليس الشعر يعتمد على التخييل بدون نظام ، ولا على تصوير الأشياء التى لا تجول فى الذهن . « لأن المحاكاة التى تكون بالأمور المخترعة الكاذبة ليست من أفعال الشاعر — وهى التى تسمى أمثالاً وقصصاً مثل ما فى كتاب كليلة ودمنة . لكن الشاعر إنما يتكلم فى الأمور الموجودة أو الممكنة الوجود ؛ وأما الذين يعملون الأمثال والقصص فان عملهم غير عمل الشعراء وإن كانوا قد يعملون تلك الأمثال والأحاديث المخترعة بكلام موزون . فالفاعل للأمثال المخترعة والقصص إنما يخترع أشخاصاً ليس لها وجود أصلاً ويضع لها أسماء ؛ وأما الشاعر فانما يضع أسماء لأشياء موجودة . . . ولذلك كانت صناعة الشعر أقرب إلى الفلسفة من صناعة اختراع الأمثال » وقد أبى ذهن أرسطو إلا أن يعطف على الشعر ويجعل رسالته مشتقة من رسالة الفلسفة . وإذا نصر الفيلسوف رسالة الشعر وخصها بفضله ، فقد رام — لقاء هذا الفضل أن يضيق عليها حدودها ، « فهو يرى أن الأشياء غير الموجودة يجب ألا توضع وتخترع لها أسماء فى صناعة المديح ، مثل وصفهم الجود شخصاً ثم يضعون أفعالاً له ويحاكونها ويطنبون فى مدحه . فهذا النوع من التخييل وإن كان قد ينتفع به فليس ينبغى أن يعتمد فى صناعة المديح لأنه ليس مما يوافق جميع الطباع بل قد يضحك منه ويزدريه كثير من الناس . » ، وقد يكون اعتقاده على حق لو كان ينطق عن غير الشعر . لأن الشعر لا منصرف له عن خلقه لكثير من أنواع التخييل ، « ومن جيد ما فى هذا الباب للعرب — وإن لم يكن على طريق الحث على الفضيلة » قول الأعشى :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ نواظر إلى ضوء نار باليفاع تحرّق
تُشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرق

وهو يريد من كل هذا أن ينزه رسالة الشعر عن النفاق وكذب التخييل والاختلاق . « إذ لا ينبغى للشاعر أن يأوى إلى ما يدعى نفاقاً فان ذلك إنما يستعمله الموهون من الشعراء ، أعنى الذين يرون أنهم شعراء وليسوا بشعراء ؛ وأما الشعراء بالحقيقة فلا يستعملونه إلا عند ما يريدون أن يقابلوا به استعمال شعراء الزور له ، وأما إذا قابلوا الشعراء المجيدين فلا يستعملونه أصلاً . على أن كثيراً من الأقاويل الشعرية تكون جودتها فى المحاكاة البسيطة »

وقد تكون المحاكاة بسيطة مجردة ، وقد تكون مركبة تأتى بطريقة المقابلة . إذا أراد مثلاً أن يحاكى السعادة وأهلها ابتدأ أولاً بمحاكاة الشقاوة وأهلها ثم انتقل الى محاكاة أهل السعادة ، والمحاكاة الأولى هى الغالبة على شعر العرب

كقول أبى الطيب :

كم زورة لك فى الأعراب خافية
أدهى — وقد رقدوا — من زورة الذيب

فهذا البيت من نوع المحاكاة الأولى

وقوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى
وأنثنى وبياض الصبح يُغرى بى

فهذا من نوع المحاكاة الثانية المبنية على طريقة المقابلة

ولقد تكون المحاكاة وليدة الانفعالات النفسية كانفعالات الخوف والرحمة والحزن ، وهى تكون بذكر المصائب والرزايا النازلة بالناس . ويجب على الشاعر أن يلزم فى تخيلاته ومحاكاته الأشياء التى جرت العادة باستعمالها فى التشبيه ، وألا يتعدى فى ذلك طريقة الشعر

أما هذه المحاكاة فهى عنده على أنواع . منها محاكاة لأشياء محسوسة بأشياء محسوسة من شأنها أن توقع الشك لمن ينظر إليها ؛ وكلما كانت هذه المتوهمات أقرب الى وقوع الشك كانت أتم تشبيهاً . وجل تشبيهات العرب راجعة الى هذا الموضع . وكلما كانت أبعد من وقوع الشك كانت أنقص تشبيهاً . وهذه هى المحاكاة البعيدة التى يجب أن تطرح كقول امرئ القيس فى الفرس :

« كأنها هراوةُ منوال »

ومنها محاكاة لأمور معنوية بأشياء محسوسة كقولهم فى المنة إنها طوق العنق ، وفى الاحسان إنه قيد . وهذا كثير فى شعر العرب كقول أبى الطيب :

« ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا »

أو قول امرئ القيس :

« بمنجرد قيد الأوابد هيكل »

وما كان من هذه أيضاً غير مناسب ولا شبيه فينبغى أن يطرح ؛ وهذا كثيراً ما يوجد فى أشعار المحدثين وبخاصة فى شعر أبى تمام كقوله : « لا تسقنى ماء الملام » فان الماء غير مناسب للملام . وكما أن البعيد يجب طرحه كذلك ينبغى أن يكون التشبيه بالجنس الموجود مطرحاً أيضاً ، وأن يكون التشبيه بالأشياء الفاضلة

ومنها المحاكاة التى تقع بالتذكر كأن يرى الانسان خط إنسان فيتذكره إن كان حياً أو ميتاً ، وهذا موجود فى أشعار العرب بكثرة كقول متمم بن نويرة :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى
دعونى ! فهذا كله قبر مالك

وكقول المجنون :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وكقول الخنساء :

يذكرنى طلوع الشمس صخراً
وأذكره لكل غروب شمس

وهذا النوع كثير فى شعر العرب ، ومنه تذكر الأحبة بالديار والأطلال . ويقرب من هذا الموضع ما جرت به عادة العرب من تذكر الأحبة بالخيال وإقامته مقام المتخيَّل كما قال شاعرهم :

وانى لأستغشى وما بى نعسة
لعل خيالاً منك يلقى خياليا

وأخرج من بين البيوت لعلنى
أحدث عنك النفس فى السر خاليا

وتصرف العرب فيه كثير

ومنها الذى يستعمله السوفسطائيون من الشعراء وهو الغلو الكاذب ، وهو كثير فى أشعار العرب والمحدثين كقول النابغة يصف ضربة سيف :

تقُدُّ السلوقيَّ المضاعف نسجه
وتوقد بالصفَّاح نار الحباحب

وهذا كله كذب

(له بقية) خليل هنداوى

من الأدب الانكليزي

پرسی شـــلی
Percy - Shelley

بقلم خليل جمعه الطوال

لشلي فكرةٌ متوقدةٌ ، وعاطفةٌ ذائبةٌ ، بل قلب يجيش بالوجدان الحي ، ونبع يتفجر بالشعور الصادق ، فقد كان شاعراً من أفذاذ الشعراء مشبوب المخيلة ، وكاتباً متضلعاً من الكتابة ، نظم وكان لا يزال في غضارة الصبى ، عديدَ القصائد التي ما زلنا نطالعها ، فندرس فيها مثال الحياة الأعلى ، وكمال النفس الأسمى ، ونمق كثير المقالات التي ما زالت ، ونحن نتصفحها ، تحدث في مشاعرنا ضروباً شتى من التأثير والانفعال ، فلا عجب إذا كتب لشعره الخلود والبقاء ، وسجل لاسمه صفحة حافلةً بجليل الأثر في سجل الزمن وتاريخ الأدباء

توفي شلي ، وكان لا يزالُ من العمر في مُقتبله ، وقد أقبل الأدباءُ على أشعاره يتــدارسونها ، وهرع النقاد الى عيوبه وسقطاته يستقصونها ، فما كان لأولئك وإن أعياهم الدرس أن يبلغوا شأو غايتــه ، ولا لهؤلاء وإن أعماهم التعرض أن يضعوا من مقدار عظمته . لقد اختلفت فيه المذاهب وتناحرت عليه الآراء ، فمنهم من نسيَ أو تناسى وفاته الباكرة وحياته القصيرة ، وراح يبحث في أشعاره عن آية القدر وأعجوبة الزمن ، فلما لم يجدها تناوله بألسنة حداد ورحضه بشتى الأحكام الجائرة ، بعد أن خضَّل جدثه بوابل من المثالب الجارفة ، التي يترفع عنها الأدباء وتنبو عن سماعها آذان الحكماء ، وبعد أن نال من سمعته وحط من مكانته ما شاءت له رغائبه وسولت له أهواؤه

ويُمثل لهذا النفر من الرجال الذين أعماهم التعرضُ المقوت « بوليم هزلت » ولوليم هذا مكانة في الأدب ، مرموقة بالأنظار ، محفوفة بالاحترام والوقار ، وخليقة بعدم التحامل السفيه ، وبالأعراض عن التشيع الكريه . ومنهم من أسدل على هفواته – وجلَّ من لا يهفو – ستَر الجهل وقناعَ التجاهل تشيعاً للرجل لا للحق ، وراح ينشد آياته البينات ، ويتغنى بأشعاره النيرات ، كتوماس أرنولد ، وكان من معاصريه ومناصريه . وهكذا فقد كانوا فيه جميعاً بين نائل من كرامته لم يسلم من الاسراف والتحذلق ، أو مطنبٍ في مدحه لم يسلم من آفة الغلو والاغراق

وكم نود لو أنَّ لنا من صائب النظر في مهنة النقدِ ما نعمد به الى مؤلفاته – وهي خير ما بقي لنا من آثاره التي تترجم عن آرائه ، ونتبينَ بين غثها وسمينها مقدارَ عبقريته ، وحقيقةَ نفسيته ، بعد أن بقي طيلة هذه المدة مجهول الهوية مكتوم الطوية ، ونرجع بذلك فيصل الحكم الى نصابه ، وحسام الحقيقة الى قرابه

أما وليس لنا من قدرة النقـد ما أسلفنا ، فلا أقل من أن نعرض لحياته الطافحة بالألغاز والمبهمات جهد المستطاع وغاية الميسور آملين فيما نقرره أن نبلغ جادة الصواب

مولده وأخلاقه

ولد پرسي شلي في الرابع من شهر أغسطس لعام ١٧٩٢ ، وقضى طفولته في لندن تعصف به الهمومُ والأحزانُ ، وتنتاشه مخالب البؤس والأشجان ، وذلك لما كان يلقاه من فقر والده ونكد طالعه ، وكان – على ما يصفه لنا السير توماس هوج في كتابه – سري الخُلق سوي الخَلق ذا عينين نجلاوين ، هزيل الجسم أزهره ، ناتىء المفاصل كبيرها ، جعدي شعر الرأس قصيره ، وضاءَ البشرة ، جميل الأنف ، مليح الفم ، أمرد باسر الوجه ، تعلو غضونَ حاجبيه المقطبين مِنْ شدة ما تجرعه من كأس الحياة المريرة سحابةٌ من الحزن ، ولذا كان يكره دور الملاهي وينفر من الحانات . ويروى أنه كان بالغاً من الطول حد التحدب ، ومن الجمال درجة التأنث ، حتى إن منظره ليملك القلب ويستهوي الخاطرَ . وكان دائماً يحدب على المستضعفين ويرفق بالفقراء والمساكين ، ويصبر على كيد أعدائه الظالمين

شلي والمعري

جاء شلي فكأنما كان مجيئه ريحاً هادئة أذكت سعير تلك النار التي قدح المعري بزناده شرارها ، وتعهد بآرائه ضرامها ، والتي لا تزال تحدث ثورة في الرأي واضطراباً في العقيـدة .

جاء شلي ، وكان ذلك الصوت الذى أهاب به المعرى فى ربوع بغداد ، وبطاح سورية ، وأرز لبنان — البلاد التى اختلف اليها المعرى فى أسفاره — لما يتلاش ، فرجع فى بلاد الغرب دوى صداه ، الذى امتد من جبال « بنّسين » فى انكلترا ، إلى جبال الألب فى ايطاليا ، والذى انفجر فى « ورنهام » — محل مولد شلي — فسار منها إلى مدينة روما ، ثم تلاشى بين أمواج خليج « بيزا » المصطخبة

لقد كان كلاهما روحاً سابحة فى عالم الخيال ، ونفساً تضطرب بين أنواء الشك واليقين . بل كان كلاهما ثورة شعواء على العرف والعادات والتقاليد ، ومن أشد الناس سخرية بالدين ، وزراية بما اطمأن اليه الخلقُ من إنابة الصالحين

لقد كان شلي ملحداً لا يؤمن بالوحدانية ولا بالحساب ، كما كان المعرى يسخر من وعيد الآخرة والثواب ؛ وهل لغير الشك أن يملى على المعرى قوله

لو جاءَ من أهل البلى مخبر ... سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها ؟ ؟ ... وهل ثوى فى النار « نوبنخت »

أو قوله :

زعموا أننى سأرجع شرخاً ... كيف بى كيف بى وذاك التماسى
وأزور الجنان أحبر فيها ... بعد طول الهمود فى الأرماس ؟

أم هل كان شلي فى كتابه الذى أرسله إلى « جون جسبورن » من بيزا عام ١٨٢٢ ، والذى جاءت فيه هذه العبارات الآتية (١)

It Scems to be a mere Superstition anol a fallacy That after siscty years, seffering here; we were to be Wasted alive far Sixty millian mare in hell. etc

أى : (إنه لمن الخرافة ومحض السفسطة ، أن نعتقد بأن الانسان الذى يقضى ستين عاما من الحياة المريرة سيذهب (بعد موته) ليقضى ستين مليوناً من السنين وهو يشتوى حياً بنيران جهنم المؤلة) هل هذا إلا صورة عن المعرى فى قوله :

أموتٌ ثم حشر ثم نشر ... حديث خرافة يا أمَّ عمرو ؟

أو عن قوله :

خذ المرآة واستعرض نجوماً ... تمر بطعم الأرى المشور
تدل على الحمام بغير شك ... ولكن لا تدل على النشور

وهل لغير روح أبى العلاء فى قوله :

تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

لو كان جسمك متروكا بهيئته ... — بعد التلاف — طمعنا فى تلافيه

أن تملى على شلي قصيدته الخالدة « Epipsychidion » التى ينكر فى بعض أبياتها لا نشور الأجسام فحسب ، بل بقاء الروح أيضاً . إذ يقول(١) :

« إن روح الانسان تتلاشى داخل قلبه وهو فى القبر كما يخبو نور مصباح طُمر فى باطن الأرض ضمن زجاجته . أما جوهر الخلود الذى ينير بسماتنا بشعاع الأمل ، فانه يتبدد ويتشعث فى عالم الأزلية : واللانهاية . »

ولم نذهب بعيداً فى المقابلة والاستدلال ونظرة واحدة الى رسالة شلي التى نشرها عام ١٨١١ تحت عنوان ضرورة الألحاد The necessity of atheism فطرد من جامعة اكسفورد بسببها ، ترينا بأنها ليست إلا نسخة عن « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، لا تختلف عنها إلا فى اللغة والأسلوب !

لقد أنكر كلاهما كثيراً من العقائد والمذاهب ، فنالا من مرارة النقد ولاذع التقريع ما لم تكسر الأيام من حدته

أضف الى اشتراكهما فى الرأى والعقيدة ائتلافهما فى المزاج وفى نوع المعيشة الزاهدة الوادعة ، وترفعهما عن إيذاء الغير وإسرافهما فى عمل البر . وكل ما يختلفان فيه — إن صح هذا الادعاء — هو أن المعرى يعترف بالوحدانية وينكر البعث بينما شلي ينكر البعث والوحدانية

شلي وبيرون

لا نكاد نمر بصفحة من حياة شلي إلا ويتردد فيها ذكر اللورد « بيرون » فقد كان رِنده وصديقه ، ومن الذين شهدوا إحراق جثته على خليج بيزا . فلا ندحة لنا عن أن نعرض

(١) راجع كتاب Shelley prase صفحة ١٧٤

(١) راجع ص ٦٤ من كتاب Shelley poetry مطبعة : كلارندن اكسفورد سنة ١٩٣١

لسيرتهما معاً ولو بشيء من الايجاز

لقد كان كلاهما من شعراء العصر الفكتورى المجيدين ، ومن دعاة الحركة الابتداعية المبرزين ، عاشا من الزمن فى فترة واحدة ، الا أنهما لم يجريا فى حلبة واحدة من ميادين الشعر والأدب فيعرف أى الاثنين محرز قصب السبق فيها ؛ فبينا نرى شلى ينزع فى قصائده ، نزعة أبى العلاء المعرى ، ويسير وإياه على غرار واحد فى الحكم والهوى ، وفى التمرد على البيئة والتقاليد ، نرى أن اللورد بيرون فى قصائده يتفق مع امرىء القيس فى أشعاره ولا سيما فى معلقته الشهيرة

فقد كان كلٌّ منهما فى جميع ما يكتب إنما يعبر قبل كل شيء عن عواطفه الخاصة ، ويسرد ما كان فى حياته الماجنة من ضروب العبث والاستهتار ، ومن لذعات الغزل الفاحش والافتخار . حتى قيل فى بيرون : « إن حياته كانت محور نظمه ، وقصائده فيها أحسن شعره » فشخصيته كأمير وابن أسرة عريقة فى المجد والحسب تظهر فى أشعاره ، ظهور شخصية امرىء القيس كملك وابن ملك ، وكشاب مسترسل فى الشهوات والملذات فى معلقته

وهناك فرق آخر بين شلي وبيرون : ذلك أن شلى كان يعتمد فى نظمه على التصورات الخيالة : Imagination بينا كان بيرون يعتمد على ذوب عاطفته وادراكه للأمور العقلية Intelectual ولعل ما بينهما من هذه الاختلافات يعزى إلى تباين طريقة معيشتهما ، ناهيك ما للوراثة من كبير الأثر ، فقد نشأ بيرون تحت ظلال النعمة الوارفة ، وهو يتقلب على فراش السعادة والرخاء ، ويرتشف سلاف الخمر ورحيق الهناء . فانكب على الملاهى والمنكرات ، وتمرغ فى حمأة الدعارة والموبقات ؛ حتى لقد كان يقاد من أهوائه بشعرة ، ويلبى لشهواته كل دعوة . وهكذا ترعرع دون أن يصطدم من الأيام بما يفثأ من جذوة جنونه المتوقدة ، أو يفل من شباة نفسه المتحفزة ، حتى ولا وجد من الأهل يداً صارمة حكيمة تقسو عليه وتكبح من جماح شهواته الثائرة ، وحياته الماجنة ، بينا نشأ شلي وهو يقاسى من شظف العيش ألواناً ، ومن الاهل ذلاً وهواناً ، ومن التعس أنواعاً وأشكالا ، ثم اصطدم من الأيام الكاسرة بما تشيب له النواصى وتهتز لهوله الجبال الرواسى . فشحنت المصاعب قلبه بتيار الثورة ، وبذرت المصائب فى صدره بذور التمرد

شعره ودواوينه :

لم يكن شلي بالشاعر الذى يترقب هبوبَ العاطفة الشاعرية فينتضحها فى قالب من السبك اللفظى ، وحسن الأداء ، يذكى بهما الحس ، ويرهف السمع ، ويجمل صدر القارىء أو السامع يجيش بتلك الحماسة التى اعتلج بها فؤاده وانماعت لها قلبه ، بل كان كثيراً ما يعتسف النظمَ على غير استعداد من عواطفه ، ويَستكره خياله استكراهاً ، على أن يملى عليه قصيدة شعرية توائم رغبته وإرادته ، ولكنها لا تشبع حسه وخياله ، فكانت تجىء ملتوية المعنى ملتاثة التعبير ، لا شىء فيها من ابتكار الفكرة ، وجمال العاطفة . ولقد كان معظم أشعاره التى نظمها فى ميعة الصبى وشرخ الشباب تدور فى جملتها حول محور من الخيال الفسل والمعنى المبتذل ، ولم يبلغ من الشعر درجة تثير كامن العواطف إلا فى ضرب واحد من ضروبه ، أعنى به باب الغناء (Suries) ولئن كان من أبطال هذا الباب وفرسانه ، فانه لم يبلغ ذروة الشاعرية العليا فيه إلا فى قصيدتين غنائيتين فقط ، وهما : ملكة الجنيات ، queen mab ، وبروميتس غير المحدود Promethus Tunbaund

أما الأولى — ملكة الجنيات — فقد نظمها عام ١٨١٣ وهى تحمل بين أسطرها جراثيم الثورة والتمرد على جميع النظم الدينية والمدنية ، إذ كان لا يراها إلا سداً منيعاً يحول دون تحقيق مثل الحياة الأعلى . وقد تنبأ فيها عن ذلك العصر الذهبى الذى يتكئ على أشرف الفضائل وأسمى المبادئ ، ودعا الناس اليه بقوة ، بعد أن حثهم على أن يهدموا جميع ما يعترض طريقهم من التقاليد القديمة والعادات الذميمة

أما الثانية ، بروميتس غير المحدود « Promethus Unbaund فقد وضع لحمتها فى انكلترا ونسج سداها فى روما بعد هجرته اليها بسنوات قلائل . وهى غرة قصائده ؛ وأعملها فى إذكاء الحس ، وصقل العواطف ، واستثارة كامن الشعور

(للبحث بقية) خليل جمعة الطوال

الحياة الأدبيـــة
فى المغرب الأقصى
للأستاذ ع . ك

... أما وقد قرأت فى مجلة (الرسالة) الغراء مقالين: أحدهما عن «الحياة الأدبية فى دمشق» بقلم الأستاذ على الطنطاوى، والثانى عن الحياة الأدبية فى بغداد بقلم عبدالوهاب الأمين، ورأيت من صاحبيهما التبرم والتشكى من ضعف الحيـاة الأدبية كل فى بلده ومن تصوير مظاهر الضعف فى هاته الحيـاة التى كادت تزرى بتقدم البـلاد من النواحى الأخرى؛ أما وقد قرأت هذا فيحسن بى أن أضم صوتى إلى أخوى الدمشقى والبغدادى، فأكتب كلمة عن الحياة الأدبية فى المغرب ليعرف الاخوان والقراء أيضاً أن المغرب قد اغترف غرفة مما غرفت منه دمشق وبغداد، وأن المغرب شريك القطرين العربيين فى هذا الضعف المزرى بهما

إذا نظرنا الى المغرب الحديث وأنعمنا النظر فى ناحية من نواحيه المهمة، تلك هى الناحية الفكرية والعلمية، وأردنا أن نسبر غورها بمسبار لنعرف مدى ما بلغته من الرقى والانحطاط، من القوة أو الضعف، من النهوض أو الجمود، إذا أنعمنا النظر فى هاته الناحية استطعنا أن نخرج بنتيجة لا ترضى . . . تلك النتيجة هى فى — صراحة — أن المغرب الأقصى يتخبط فى ديجور من الجهل قاتم، وفى بساطة فكر مفرطة، وفى خمود وجمود لم يسبق لهما مثيل فى عصوره التاريخية . اذا تساءلنا هل هناك حركة فكرية أو علميـة تسود المغرب الأقصى حتى يجنى من ورائها ما يزيح به هاته الظلمة التى تغمره من أقصاه إلى أقصاه وحتى تكون حداً فاصلاً بين هاته «الفترة» وبين الحياة العلمية المترقبة وذهبنا، نلتمس الجواب عن هذا السؤال بالنظر فى المغرب والبحث عن مظاهر هاته الحركة حتى وصلنا الى مهد حركاته العلميـة فى عصوره السالفـة الى «كلية القرويين» التى انجبت فطاحل علماء المغرب، استطعنا أن نخرج بالنتيجة الآتية وهى: إن هاته الحركة التى نبتغى البحث عنها وعن مظاهرها هى شىء لم يوجد حتى الآن، بل هى حلم لذيذ يطرق أفكارنا كطيف الخيال، غير أن هناك شبح حركة علمية تغذيها كلية القرويين ونظامها الجديد ولكن . . على حال مشوهة لا ترضى ولن ترضى — إذا بقيت الحال كما نرى — فاذا ما أطلقنا عليها «حركة علمية» فقد عرضنا أنفسنا لظلم الحقيقة والتاريخ

هـذه كلمة مجملة أبنا فيها ضعف الحياة العلمية فى المغرب وقدمناها بين يدى كلمتنا عن الحياة الأدبية لنعرف السبب الرئيسى لضعف الحياة الأدبية المغربية والعنصر الوحيد الذى يكون هذا الضعف وعده بسبب منه ... وإذا بحثنا عن الحياة الأدبية المغربية، أعنى وسط الأديب المغربى لنرى هل هو وسط راق أو منحط . . وهل هناك ما يسمى بالحياة الأدبية حقاً، لم نجدها أحسن حالاً من الحياة العلمية، بل نجدها أضعف منها وأحط بكثير؛ ولم نجد هناك ما يطلق عليه هذا الاسم ويسمى بالحياة الأدبية . فهذه ناحية تنقص المغرب من جملة النواحى التى تنقصه وتزرى به وتظهره فى العالم العربى أشل . . ننظر إلى العالم العربى ونقيس المغرب بجانبه فيظهر لنا البون الشاسع بين حياته الأدبية وحياة العالم العربى، فهذه المطابع الشرقية تظهر علينا من حين لآخر بعشرات الكتب الجديدة الأدبية والعلمية بأقلام أدباء شرقيين وخاصة فى مصر، فأين هى آثار المطابع المغربية من ذاك؟ وأين هى المجهودات الأدبية للأدباء المغاربة أمام مجهود الشرقيين على العموم والمصريين على الخصوص؟! . . وهذا العالم العربى يطلع علينا كل يوم بمئات الصحف والمجلات الأدبية والعلمية ويظهر فيها من القدرة على البحث الأدبى والانتاج العلمى ما ينبئنا بقوة حياته الأدبية وبلوغها أوج الكمال، فأين هى الصحف والمجلات المغربية الأدبية؟ وأين هو انتاج المغاربة الأدبى وبحثهم العلمى؟ وهذه الأندية الادبية فى الشرق تخرج لنا كل يوم محاضرات قيمة تتغـذى بها أفكار الناشئين وتكون فيهم روحاً أدبية تعينهم على مضاعفة جهودهم حتى يبلغوا المستوى اللائق بأمتهم، فأين هى الأندية الأدبية المغربية وأين هى آثارها نحو الناشئة المغربية . . ؟

إنا لنبحث عن عوامل تكوين هاته الحياة الأدبية المنشودة

فى الـكتب والمجلات والأندية فلا نجد أثراً لهذه العوامل نفسها ، فما هو سبب هذا الضعف فى حياتنا الأدبية . . . ؟ ؟ إذا بحثنا عن السبب فى ضعف هاته الحياة بل فى اضمحلالها لم نجده ينحصر فى سبب واحد أو اثنين ، ولـكنها أسباب تتراكم على من بحث عنها وقلب بين جوانبها وسنذكر أهمها فى هذه الـكلمة

١ — ضعف التعليم

هذه ناحية مهمة وسبب قوى ، بل سبب رئيسى لضعف الحياة الأدبية فى المغرب ؛ فالتعليم هو قوام كل حياة ، وإذا بحثت فى الشعب المغربى وأحصيت مقدار المتعلمين وجدت عددهم لا يزيد على خمسة فى الألف من شعب عدد سكانه يربو على خمسة ملايين .
وهذا القدر الضئيل من المتعلمين يرجع إلى عدم وجود المدارس الـكافية فى أنحاء الشعب المغربى . أما مدارس الحـكومة فهى على قلتها لا تضمن للمتعلم أى مستقبل ولا توجه نظره لأية جهة ، فضلاً عن عدم اعتنائها باللغة العربية وعلومها . فلم يبق بين أيدينا سوى كلية القرويين التى يتكفل برنامجها الجديد بتخريج أدباء بل أساتذة فى الأدب العربى — وهم الذين تخرجوا فى القسم العالى الأدبى — وهؤلاء يمكن أن نعلق عليهم الأمل فى بعث حركة أدبية فى المغرب ، لولا ما ينقص هذا القسم من عـدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بالمهمة التى نيطت بهم

إذن فأين هو الوسط الذى تنمو فيه هاته الحياة الأدبية وتزدهر ؟ إذا لم يكن وسط المتعلمين فأى وسط ؟ ؟

٢ — الصحافة

من عوامل بعث الحركات الأدبية ، بل جميع الحركات ، الصحافة . ومن البر بالأدب ألا ننسى فضل الصـحافة عليه وعملها فى بعث الحياة الأدبية فى الأقطار العربية . فهذه مصر زعيمة الشرق العربى تتخذ الصحافة أداة لترويج سوق الأدب ونفاقه ، فاليها يرجع الفضل الـكبير فى نقل نتائج الحركة الأدبية المصرية إلى الأقطار الشرقية الأخرى . فاننظر فى الحياة الأدبية المغربية ، ولنر حظها من الصحافة ، وعمل هذه الأخرى فى تـكوينها وبعثها

المغرب الأقصى من جملة الشعوب التى لم تحظ حتى الآن بصحيفة — أدبية أو علمية — سوى جريدة (السعادة) لسان الحـكومة الرسمى وناشرة أخبارها ومقرراتها . ويرجع هذا الفقر الصحفى فى المغرب إلى القانون الجائر الذى وضع للصحافة بالمغرب ، إن صح لنا أن نسميه قانوناً [1] . وقد أنشئت صحف فى منطقة النفوذ الاسبانى فطوردت فى منطقة النفوذ الفرنسى [2] . نعم هناك مجلة علمية تصدر شهرياً فى تطوان باسم « المغرب الجديد » فعليها نعلق آمالنا فى بعث الحياة الادبية فى المغرب . أما « مجلة المغرب » التى تصدر شهرياً فى رباط الفتح ، فليس يعنيها من الناحية الأدبية والعلمية شىء ، وإنما يهمها — الخبز والتعليم — على حد تعبيرها .
فاذا علمنا هذا الفقر الذى يعانيه المغرب من الصحف والمجلات ، استطعنا أن ندرك بسهولة سبباً من الأسباب القوية فى خمود الحركة الأدبية فى المغرب . أما ما نسمع فيه الحين بعد الحين من طنطنة أدبية فيرجع الفضل فيه إلى الصحف الشرقية ، ولمجلة « الرسالة » الحظ الأوفر فى ذلك

٣ — المشارع الأدبية

لسنا نعنى بالمشارع الأدبية سوى تلك الحفلات التى يقيمها جماعة من الأدباء لتـكون مسرحاً لمباراتهم الأدبية وحافزاً لهم على القول والـكتابة ؛ وهى من دواعى النشاط الأدبى والانتاج الفكرى ورثها العرب الخلف عن سلفهم الذين كانوا يقيمون أسواقاً سنوية لقرض الشعر وانشاده ، فقد حدثنا الرواة كثيراً عن أسواق العرب فى الجاهلية وما أنشد فيها من شعر وأدب . ولقد اتبع هذه السنة أدباء العربية اليوم فأخذوا يقيمون الحفلات المتوالية لبعث الحركة

(١) يتضمن قانون الصحافة فى المغرب ، والعربية منها بالخصوص ، أنه لا يمكن إصدار جريدة أو مجلة عربية إلا بعد الحصول على الاذن من الصدر الأعظم (رئيس الوزارة) وله الرجوع فى هذا الاذن فى أى وقت شاء ، ولرئيس الجيش الأعلى تقديم تقرير بمنع الصحيفة فيتبع أمره بلا استثناء . هذا وعلى الخارجين عن قانون الصحافة عقوبات فادحة من شأنها أن تصرف الناس عن طلب الصحافة . ونلاحظ أن هذا القانون إنما هو صورى فقط ، وإلى الآن لم يتمتع المغرب بأية صحيفة رغم مطالبات عديدة

(٢) قسمت المطامع الأجنبية المغرب إلى ثلاث مناطق (١) المنطقة السلطانية أو منطقـة النفوذ الفرنسى (٢) المنطقة الخليفية أو منطقة النفوذ الأسبانى (٣) المنطقة الدولية

الأدبية واحيائها ؛ فهم بينا يحتفلون بالعلماء الأحياء الذين قطعوا مفازة كبيرة فى الجهاد العلمى ، إذا بهم يحتفلون بالأموات تقديراً لمجهوداتهم الأدبية أو العلمية أو غيرها . وفى هذه الحفلات الأدبية ترى ألسن الشعراء والخطباء تتنافس فى جيد القول ، وكفى بهذا فائدة للحياة الأدبية

وإذا نظرنا الى المغرب الأقصى وأردنا أن نعرف ما يؤديه لحياته الأدبية من ناحية هذه المشارع لم نجد له أى عمل فى ذلك ، وهذا ما سبب لحياته الأدبية هذا الضعف وهذا الجمود ، وأوقعه فى هذه الأزمة الأدبية التى يعانيها ويذوق من أجلها الأمرين . نعم حاول بعض الأدباء أن يخطوا بالمغرب خطوة فى هذا السبيل فكان من آثارهم حفلة ذكرى الأربعين لخالد الذكر « أحمد شوقى بك » وحفلة الذكرى الألفية لأبى الطيب المتنبى (أقيمت بفاس فى ٢٥ رمضان الفارط) وهى خطوة حميدة فى هذا الباب كان لها أثر أدبى جميل . غير أن هذا العمل الضئيل الذى قام به هؤلاء الأدباء لا يكفى فى بعث الحركة الأدبية وإيقاظها ، إذ هو لم يعدُ حفلتين كانت أولاهما منذ ثلاث سنين أو تزيد ، وأخراهما فى هذه السنة ؛ وإنما الذى نتطلب أن تكون هناك حفلات أدبية منظمة يتكفل بها أدباء مغاربة حتى يستطيعوا أن يكونوا حياة أدبية وأن يبعثوها من مرقدها . وقد حاول طلبة القرويين مراراً أن ينشئوا جمعية أدبية علمية يكون من أهم أغراضها تأسيس ناد لهذه الغاية نفسها فلم يظفروا بذلك من الحكومة

٤ — البخل على الأدب

وهذا سبب آخر قد يكون وصمة فى جبين الحياة الأدبية المغربية ومانعاً من الموانع التى تعوقها عن التقدم وتدفعها نحو الضعف والجمود ، ذلكم السبب هو البخل على الأدب ، أعنى عدم وجود الناشرين لهذا الأدب الذى نود أن يبعث . فمن دواعى النشاط الأدبى أن يجد الأديب الذى يقف قسطاً من حياته على تأليف كتاب أدبى أو نظم ديوان شعر ناشراً يبرز مجهوداته إلى الوجود ويخرجها إلى الناس ليعرف مقدار عمله ، ويكون ذلك مشجعاً له على المضى فى سبيله والمغاربة — مع شديد الأسف — ليس فيهم من يشفق على هذه الحياة الأدبية ، وينظر إليها بعين العطف والحنان فيقف قسطا من ماله على نشر الكتب الأدبية والدواوين الشعرية ، أو يقدم جائزة — مثلاً — لمن يؤلف كتاباً فى الأدب ، مع أن فيهم الأغنياء الذين يستهلكون ثروتهم فى شهواتهم فقط . وكما لا يوجد أفراد من هذا النوع فى الوسط المغربى لا توجد هناك شركات تجعل موضوع تجارتها نشر الكتب الأدبية المغربية . ولست أدرى لذلك من سبب سوى عدم الاشفاق على الأدب المغربى . أما لو وجد الناشرون لبرز شطر من الأدب المغربى المخبوء ، ولتكونت حركة أدبية فى المغرب ، فلعل السبب الوحيد الذى يدعو الشعراء المغاربة لعدم نشر دواوينهم هو فقدان هاته المساعدة المادية . فهذا شاعر الشباب الأستاذ محمد علال الفاسى يود أن ينشر ديوانه (روض الملك) ولكن أين هو الناشر ؟

هذه جملة الأسباب التى تعين على ضعف الحياة الأدبية فى المغرب أجملنا القول فيها اجمالاً ، لنعلل فقط هذا الضعف المزرى بحياتنا الأدبية ، وليظهر للقارئ السبب الداعى لجمود الحركة الأدبية فى المغرب . . . . .

(فاس — المغرب الأقصى) ع . ك

دراسات أدبية

فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٥ —

حنة فيفانتى وروايتها عن مصر

تعد حنة فيفانتى Anna Vivanti أستاذة فن الخيال الواضح والأسلوب الرفيع ، وقد بدأت حياتها فى انجلترا ، ولم تر وطنها — ايطاليا — إلا فى الثانية عشرة من عمرها عند ما نزحت من انجلترا لتتعلم فن الغناء . فنى هذه السن المبكرة تتلمذت لطائفة من رجال الأدب وفى مقدمتهم كاردوتشى ، ونشرت ديوانا من الشعر الغنائى « ليريكا » يفيض بالعواطف الذاتية والخيال الراق ، فلم يلبث نجمها أن تألق فى سماء الأدب الحديث

والواقع أن غنى اللغة الايطالية خطر عليها من بعض الوجوه ، فان طبيعة هذه اللغة تساعد على التمادى فى الوصف والاستغراق فى الخيال . ولما كان كتاب هذا العصر فى ايطاليا أميل إلى التأنق فى موسيقية اللغة ، وإلى المزاج الفنى الصريح ، فان أسلوب فيفانتى الخلاب وجد البيئة التى ينمو فيها ، وانطلق فى الجو الحالم مرددا العواطف المشبعة بعناصر الجمال . ففى روايات هذه الشاعرة نجد صفة نادرة الوجود عند كتاب الجيل المعاصر ، تلك هى غريزة الجمال . والانسان يشعر لدى مطالعته رواياتها بأن الطبيعة فى فنها تجاوزت منطقة الجلال ؛ وكما يفوق الناس بعضهم بعضاً فى المواهب وقوة الادراك السامية ، وتمييز الألوان والأصوات ، فان لفيفانتى قدرة على هتك أسرار الطبيعة وابرازها فى إطار فنى جذاب

ولما كان أسلوبها الروائى ليس من النوع التحليلى فالنتيجة هى أن الشخصيات الثانوية فى رواياتها أغزر حياة وتأثيراً من البطل نفسه ، كما فى رواية الغجرية Eingaresca . ويمكن تقسيم أبطالها إلى قسمين : الفريق الأول وهم الأبطال الأقوياء الذين يتمتعون بالحياة إلى أقصى حد ، مع استفادتهم من ضعف الآخرين ؛ والفريق الثانى الفقراء الذين يحنون رؤوسهم أمام قسوة الحياة ذاكرين أنه من فعل القدر

وحنة فيفانتى صديقة وفية لمصر ، ويرجع تاريخ هذه الصداقة إلى يوم آزرت الوفد المصرى وهو واقف بباب مؤتمر الصلح فى باريس . وكانت من أخلص أصدقاء المغفور له سعد زغلول باشا ، وطالما أيدته فى صحف بلادها ؛ ولا عجب أن توحى اليها هذه الصداقة وتثمر فيها الضيافة التى لاقتها فى وادى النيل كتابة رواية « أرض كليوباترا Terra di Cleopatra » التى بدأتها بالرحيل إلى مصر ، إذ تقول :

حقاً إننى أحلم حلماً جميلاً من تلكم الأحلام الذهبية المترامية الأطراف ؛ فعند ما يستيقظ الانسان فى الصباح ، ويحاول أن يقربها إلى ذهنه تفر أشباحها بعيدة عنه ، ولا تلبث أن تختفى فى وادى النسيان . برهة وجيزة أستيقظ بعدها فاذا بى فى صحراء ليبيا ، فوق بعير يجوب بى الصحراء متجهاً نحو قبر الملك الشاب توت عنخ آمون . يقود زمامه أعرابى طويل القامة ، عريض الهامة ، وتتفتح عيناى عن هذه الصحراء الذهبية ، فاذا بسرب من الفلاحات المصريات يرتدين أردية سوداء ، وفوق رؤوسهن جرار الماء ، وعند ما أقترب منهن يحدقن فىَّ بعيونهن الدعجاء قائلات : « سعيدة ، نهارك لبن »

واستطردت الكاتبة فى وصف مشاهد الصحراء وأسواق القاهرة ، إلى أن أتت على مقابلتها للمرحوم زغلول باشا فقالت :

« وفى غداة يوم وصولى إلى القاهرة قصدت إلى بيت « الرئيس الجليل » الذى استقبلنى واقفاً خلف مكتبه ، وعلى رأسه ذلك الطربوش الأحمر الذى لا يرفعه المصريون للتحية ، بل يبقونه فوق رؤوسهم كرمز للوقار . ويبدو لى الرئيس كما كنت أعرفه فى باريس منذ سنوات ، فلا العظمة ولا الاضطهاد ، ولا النفى ولا الهتاف باسمه فى الشوارع ، استطاع أن يغير هذه الهامة الطويلة ، ويضعف من ضياء عينيه الوقادتين . وكانت تقف إلى جانبه (صفية زغلول) التى حيتنى باشة مبتسمة . ودار الحديث بيننا بالفرنسية إذ أنها لغة الأجانب الرسمية فى مصر ، **ولأن** البحث بالانجليزية أمر بغيض إلى قلوب المصريين . **وما إن أبلغته**

تحية أصدقائه من كتاب إيطاليا وصحفيها الذين أحاطوا قضية بلاده بعطفهم حتى قال :

— إنك كنت صديقة هـذه البلاد ، وقد أعطيتها محبتك قبل أن تريها ؛ فها هي ذي أمامك ! اذهبي إلى أي مكان تشائين ، عسى أن تتكشف لك نفسية هؤلاء الفلاحين المساكين ، فهي نفسية نبيلة شريفة لكنها مجهولة

وعندما ودعته ختم حديثه مي بأن قال :

— عودي إلينا ثانية ، ولا تحسبي أن هذه آخر زياراتك ، وعدينا بذلك

وغادرت منزل الزعيم الوطني ووجهتي مصر العليا عن طريق النيل ، لأشاهد الأقصر بحدائقها الغناء ، وطيبة ذات المائة باب ، وكوم امبو بلدة المعابد ، وفيلي جوهرة مصر المكنونة

ها نحن أولاء في أسوان « مدينة الشلالات » التي يقصدها المسلولون طلباً للشفاء ، ويأتيها المكروبون عسى أن يفرجوا عن قلوبهم الحزينـة أساها وبلواها . هنا حيث الاقامة في بقعة هادئة عميقة ، تكتنفها الصحارى من كل جانب ، يجد الايمان الصحيح طريقه إلى السماء

الله أكبر ، الله أكبر ! أدعية حارة صادرة عن قلوب عامرة بالايمان ، يرددها العرب في كل آن ، فيترجع صداها على شفاهنا المتبتلة بالتسبيح ، على حين يتوجه أبناء الصحراء شطر مكة ، وهم جاثون على الرمال ، يرددون اسم الله في تقوى وخشوع

أشرف على النيـل ومياهه التي ينعكس عليها نور السماء الأزرق ، وعلى منظر الصخور التي تتراءى عن بعد كوحوش كاسرة ، راقدة تحت أقدام « اخنوم » إله الشلالات

وأخذ القارب ينسـاب بنا بين الجزر كالأفعى ، وترى الشمس تسقط رويداً رويداً عن الشفق ، فتلتهب السماء ، ويتغير لون المـاء من سائل فضي إلى سبيكة من الذهب الابريز ، ثم تنحدر الشمس ككرة من نار ، والسماء تحترق فيقع ظلها المتورد الناري على صفحة المياه حتى حسبنا أنفسنا نسير في بحر من دماء

ها نحن أولاء أمام قصر أنس الوجود ، أمام فيلي ، جوهرة مصر المكنونة ، ودرتها الساطعة ، عروس النيل وريحانته ، إيه أيتها الجزيرة الصامتة الحزينة ! أيتها الجوهرة الميتة ، يا زهرة اللوتس ، يا جزيرة السحر ومهبط الجمال ، أيتها الجزيرة التي يتربع فوق صدرك آخر معبد فرعوني ، لقد غمرتك الميـاه فغرقت وتواريت ، ورحت ضحية لخط الأرض وجوع الرجال !

والرواية مشبعة بأمثال هذه الصور الوصفية ، وتحت ستار شفاف من الحنين إلى المـاضي ، والاشادة بمجـد الفراعنة ، والتفاؤل بالمستقبل

بابيني

وجيوفاني بابيني Giovanni Papini من أغرب الشخصيات في الأدب الايطالي الحديث ، وقد اشتغل بالنقد قبل أن يصبح روائياً ؛ على أن الانتقال من النقد إلى الأدب ، أو المسرح ، أو الرواية أمر مألوف في ايطاليا

قبل الحرب العظمى كان بابيني ألمع شخصية في سماء الأدب ، ومحور الحياة الفكرية في الأوساط الايطالية ؛ وقد ظفر بهذه الشهرة إثر المقالات النقدية العنيفة التي كان ينشرها بعنوان « التدمير » ، والدراسات الفلسفية التي تحدى بها شوبنهاور ونيتشه وهيجل ، وأساتذة مدرسة الفلسفة الألمـانية . ثم بفضل المجلات الأدبية العديدة التي كان يصدرها لثلاثين عاما خلت ، أي في الوقت الذي كانت الشبيبة الايطالية تتلهف على التهام كل ما يقدم اليها من ألوان الثقافة الحديثة ، فوجدوا ضالتهم في بابيني ، ومجدوا من شأنه . ولكن شباب هذا الجيل سرعان ما حولوا اتجاههم الأدبي عن فنه ، إذ أنهم لم يجدوا شيئاً يتعلمونه في كتبه سوى فلسفة جامدة ، وفن جاف مضطرب ، وتبشير بأساليب الكثلكة مع الرجوع إلى أحضان الكنيسة

وتعد أقوى روايات بابيني على الاطلاق « مذكرات الله » التي تحدث فيها عن خلق العالم ونشأته ، فرواية « الرجل الذي انتهى » ، وقد رسم بين سطورها حياة المتاعب والآلام التي تنتاب طبقة المفكرين الذين يقضون نصف أعمارهم بين بطون الكتب ، والنصف الآخر في ظلال الفلسـفة والنظريات السفسطائية

(البقية في العدد القادم) محمد أمين حسونة

يا ليل !

للأستاذ فخرى أبو السعود

يا ليلُ هل لك دونى صاحبٌ ثقةٌ ... مثلى لقدرك صافى الود فى الناس ؟
أغليتُ ساعاتك حتى بتُّ راعيها ... رَعْىَ الشحيح كريم الدرّ والماس
أغليت ساعك غيرى من يبذّرُها ... منثوراً بين أصحابٍ وجُلاس
وصُنتُ آنك لا أمسى أضيّعها ... وقد صفت بين سِفْرٍ لى وقرطاس
لكنّ فى ملكوتِ الحسن منتجعى
إذا دَجَوْتَ وإسرائى وتعساسى
فى ملك حسنك ممتداً ومنبسطاً ... أحبُّ مسرى لمرتادٍ وجوّاس
تدعو فآتى أغذُّ السيرَ تلبيةً ... ما بين دَوْحٍ رطيب الغصن مياس
راوى الأزاهر والأوراق مابرحت ... عليه آثارُ هامى المزنِ رجاس
تتلو صفوفٌ صفوفاً منه ماثلة ... كأنها فى الدجى أشباح أحراس
أو فوق شط أتىّ الموج مرسلة ... أمواجُه حُلو أصداء وأنفاس
سالت عذوبتُه سيلاً ورقّتُه ... من مائه الملح أومن صخره الجاسى
يهتزُّ فيه شعاعُ النجم مؤتلقاً ... وآنة ضوءُ بدرٍ سابغٌ كاس
كم طالعتنى المعانى فيك سافرة ... وأسلست لى القوافى أىّ إسلاس
فرداً وحيداً أوافى ملك حسنك قد
زهدتُ عندك فى صحب وأحلاس
فى وحدتى وسكون الكون لى طربٌ
ووحشتى فى الدجى يا ليلُ إيناسى
لا بل خدينىَ آمالى وعاطفتى ... أيانَ سرتُ وأفكارى و إحساسى
وما جلوتَ لعينى من خلالك ومن ... أُفقٍ ونجمٍ وأزهارٍ وأغراس
حديث هاتيك أشهى لى وأعذبُ لى
يا ليلُ من قول جهالٍ وأكياس
للنفسِ ثمّ حديثٌ كم تبثُّ به ... من ذكريات وتأميل و إيجاس
نجواك يا ليل كم تُذكى بها هِمماً ... وكم تجدِّدُ من عزمٍ ومن باس
تُجبى بها أنت آمالاً وترفعها ... عما بذا العيشِ من قبحٍ وأرجاس
حتى أؤوبَ — إذا آن الإيابُ — كمن
قد آب من موكبٍ أو عُرْسِ أعراس
مُمتَّعَ اللبِّ والعينين زاويها ... منزّهَ النفس عن همٍّ وعن ياس
ما دام لى مُلكُ هذا الحسن مطرداً ... فما فؤادى على ما فات بالآسى
ولستُ أغبطُ من يا ليل قد جهلوا ... لديك فتنةَ أمساءٍ وأغلاس

فخرى أبو السعود

يا فلسطين . . . !

آفاقك الحمرُ انتشت راياتها ... قد أقسمت ألا تُظِلَّ ذليلا
ثورى ولو فرش الذين طغوا على ... طرق الجهاد أسنةً ونصولا
لا بأس إن نضحت دماً جنباتها ... فاليوم لا يغدو دمٌ مطلولا
إيهٍ فلسطين اغضبى وتحررى ... ضاعت حقوقك بين قالَ وقيلا
مدى القلوب على الظُّبى وتبسمى ... تجدى على تلك الحدود فلولا
أمهلت ظالمك العتلَّ وما درى ... أن التهامس يستحيل صليلا

* * *

إيه فلسطين المجاهدة اثبتى ... فالظلم مرتعه يكون وبيلا
ها هم بنوك لووا أعنّات الردى ... وأتوك لا يرضون منك بديلا
يتزاحفون إلى اللهيب كأنهم ... ظمأى وقد عدوا اللهيب النيلا
فلوا حديد الظالمين بمثله ... وبدونه لن تبلغى المأمولا
لا مجد إلا حيث يشتجر القنا ... فتشيده مجداً أشم أثيلا
فى كل ناحية شهيد خالد ... هو من ينادى : لا نريد دخيلا
قم يا شهيد القوم واخطب فى الورى ... أصبحت حياً مذ غدوت قتيلا

* * *

جبل المكبّر (1) طال نومك فانتبه ... قم واسمع التكبير والتهليلا
فكأنما الفاروق دوّى صوته ... فجلا لنا الدنيا وهز الجيلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا ... ما لم نحطم فوقك الباستيلا

أبو سلمى

---

(1) الجبل الذى وقف عليه الخليفة عمر وكبر مع المؤمنين قبل دخول بيت المقدس

العلم *

مهداة إلى زعيم الشباب فخرى بك البارودى

بقلم عز الدين العطار

أيهذا الخفّاق رفرفْ على الدهـ ... ر وتِهْ فى العلاء زهواً وحُسنا
الفضاء الرحيبُ محرابُك الزا ... هرُ فاخفِق وأترِع الجو لحنا
صورة أنت للربوع الغوالى ... غلغلت فى الإطار داراً ومغنى
وطنى أجتليه فى رمزك السمـ ... ح وألقى الرفاق خدناً فخدنا

* * *

يا تراب الشآم يا عبقَ الخلـ ... د ويا نفحةً تناسمُ عدنا
فى ثراك القدسىّ يثوى الميامـ ... ين فيختالُ طيلساناً ورُدْنا
ملأوا الكون بالهداية والنو ... ر وزانوا مغناهُ علماً وفنا
طلعوا فى دُجى الزمان شموساً ... هى أبهى من الضياء وأغنى

* * *

الشبابُ الشبابُ ريحانةُ الخلـ ... د وبأسٌ على المدى ليس يفنى
عزمات كأنها وَهَجُ الشمـ ... سِ تجوسُ السماء صحناً فصحنا
تتفرّى الدياجرُ السُّحْمُ عنها ... ويغيبُ الدجى ارتعاداً وجُبنا
ابْسمى يا ثغورُ قد أشرقَ الفجـ ... رُ ومحّى السّنا قتاماً ودَجْنا
وَثبَ الحق وَثبةَ الأسد القا ... حِم يفرى الفلاةَ ضرباً وطعنا
تتهاوى من شِدْقه زأرةُ الهو ... لِ فلا تملكُ الطرائدُ أمنا
رَجفت من صياله ثورةُ الريـ ... ح وَريعَ الأنامُ إنساً وجنّاً
الصحارى تشققت عن ليوثٍ ... آدميّين زعزعوا الموت سكْنا
عزفوا عن مناعم العيشة الرَّغـْ ... د وَعبّوا الحياةَ زنقاً وأجْنا
عسلُ الذلّ يشبه العلقمَ المر ... ر وصابُ العُلى من المزْن أهنا
ليس يسمو إلى الخلود غبىٌّ ... عاشَ فى ربقة الإسار مُعنّى
يحسبُ العز فى المهانة والعا ... بِ ويعنو للخصم إما تجنّى

* * *

يا صحابى سيرُوا إلى المجد صفاً ... والبسوا الحزم فى الحياة مِجَنّا
وتعالوا نردْ سبيلَ المعالى ... ونُعِدْ ماضياً من النجم أسنى
اذكروا أنكم سلائلُ صِيد ... أترعوا الأرض والسموات يُمنا
غمروا الناسَ بالمحبة وارْفـ ... ق ونقّوهمُ مقالاً وظنا
طاولوا الشهبَ من قِراع العوالى ... وبنوا للفخار فى الزُّهر حصنا
ملكوا فى البيان ناصيةَ القو ... لِ وصالوا يومَ التنافرِ لُسْنا

* * *

كفَنٌ أنتَ بالشهيد رفيقٌ ... تترامى عليه لهفاً وحزنا
رُبَّ قلبٍ على خُفوقك وَقفٍ ... كلما رفَّ بندُكَ الحلوُ حَنّا
نامَهُ طيفُك الحبيبُ فنادا ... كَ وناجى بكَ العُلى وتغنّى
لكَ هذى الأرواح منا حلالٌ ... فادْعها تسبقِ الغمامَ جَفنا
نحن يومَ البلاء رمزُ التفادى ... إنْ دعانا داعى الجهادِ أجبنا
بنفوسٍ لم تستكنْ لا وادى ... وجُسومٍ لم تعرفِ الدهرَ وهنا
تتنزّى كأنها النارُ وقداً ... وترامى يومَ الهزاهزِ مُزْنا
تمشى للمجد عطشى إلى المو ... تِ ولو عبّت الخضمّات دنّا

* * *

قدْ وهبنا لك النفوس لتحيا ... ليس منا من يخبأُ النفسَ ضنّا
أنت منا الهوى وأنت الأمانى ... كلُّ روحٍ ترى بكَ المتمنّى

دمشق عز الدين العطار

الرغام

بقلم إلياس قنصل

اغنم العمرَ فهو أضغاثُ وهمٍ ... تتلاشى بسرعة الأحلامِ
وترشّفْ كؤوسه قبل أن تقـ ... ضى عليها زعازعُ الأيامِ
خُلقَ المرء لا ليلقى على أسـ ... ـمى اللذاذات حلّةً من ظلام
ثم يخشى الدنوّ منها ، ويدعو ... خوفَه نفرةً من الاجرام
بل ليستقطر المسرّة حتى ... من قتاد الهموم والآلام
ويبثّ الفتون فيما يراه ... حوله من تجهم وقتام
أنت فى ميعةِ الشباب وهذا الـ ... ـمهدُ ، عهد المراح ، عهد الغرام

---

* ألقيت فى حفلة تحية العلم التى أقامها معهد التجهيز والمعلمين فى دمشق

القصص

قصة المفاتيح

للقصصي الروسي مكسيم جوركي

Maxim Gorki

« هذه القصة تكشف عن شخصية هذا الكاتب العظيم ، وتؤرخ فترة قاسية من حياته ، فضلا عن أنها تصور حياة طائفة من الناس أغفل كثير من أدباء الغرب تصويرها »

كان ثلاثتنا : « زيومكا كارجوزا » و« أنا » و« ميشكا » عمالقة بلحى طويلة وعيون واسعة لها زرقة الماء ، نبتسم دائما بثغور فرحة ، ويخيل لمن يرانا أننا نترنح من الخمر أبدا . وكنا نأوى الى بناء قديم خارج المدينة ، يكاد من فرط قدمه أن ينقض ، ولا يعرف غير الله لم سمى بمصنع الزجاج ، ولعل ذلك لعدم وجود لوح زجاجي سليم به . وكنا نتقبل أى شيء دون أن يكون لنا شيء من الخيار ، وكنا نكنس ساحات البيوت وننظف الغبار ، وننبش المقابر وأكوام القمامة ، ونهدم البيوت القديمة ، ونقطع الأسوار . وقد حاولنا مرة أن نبنى زريبة للعمالقة ، إلا أننا فشلنا في ذلك . وكان زيومكا يسعى دائما للقيام بواجبه ، ويتشكك في معرفتنا ببناء زريبة للعمالقة . ولهذا فقد أحضر بنفسه ظهر يوم وكنا في غفوة كل المسامير وقطعتين من الخشب ومنشارا ، وكان ذلك كله لصاحب عمل كنا نعمل عنده ، وقد طردنا من أجل تلك الفعلة . ولما كنا لا نملك شيئاً يمكن سلبه منا لم يطالبنا بتعويض عن الأضرار التي لحقته بسببنا ؛ وكنا في كفاف من العيش ؛ وكنا غير راضين بما قسم لنا — وهو أمر طبيعي في مثل هذه الحالة . وتطور هذا الشعور بفعل الزمن فأصبح كراهية لكل ما يحيط بنا . وجرنا ذلك الى أعمال تهديدية توقعنا تحت طائلة قانون العقوبات . والواقع أننا عشنا في ألم . غير مبالين بالحياة ، مرغمين على البحث عن عمل وليس لنا من مظاهر الحياة المادى سوى تجاوب ضعيف

وكنا قد تقابلنا في ملجأ لمن لا مأوى لهم قبل أربعة عشر يوماً من الحادث الذي سأقصه عليك لأنه شائق في نظرى ؛ وصرنا بعد يومين أو ثلاثة من تعارفنا أصدقاء نسير معاً إلى كل مكان ، ويفضى كل منا لصاحبيه بآماله وأغراضه ، ويشاطر بعضنا بعضا كل شيء ؛ وبالاختصار عقدنا اتفاقا لا نص له على أن نكافح سواسية مدافعين ومهاجمين الحياة التي ناصبتنا العداء

وفي النهار كنا نبحث بجد عن عمل ، في قطع الأحجار ، أو الهدم أو الحفر أو النقل ، وعند ما تتهيأ لنا فرصة مثل هذه كنا نعمل بجد ونشاط

ولما كان لكل منا غرض أسمى من وضع مواسير المجارى أو تنظيفها — وهو من أشق الأعمال — فقد سئمنا العمل فيها بعد يومين . ثم أخذ زيومكا يتشكك في ضرورة الحياة .

ستصير هذه مجارى ، لأى شيء ؟ للقاذورات ؟ أليس في وسع الانسان أن يأتى بها أمام داره ؟ كلا . هذا لا يصح عمله فانها تثير رائحة كريهة . هكذا ! القاذورات تثير رائحة كريهة . أعمال عظيمة من أجل أشياء تافهة ! فلو أن انسانا قذف مثلا بخيارة

وهو يدعوك فانتبه وتنعم ... بالجمال المجسم البسام
إن ثغرى أحلى من الأمل العذ ... ب وأشهى من بابلىّ المدام
تبعثُ القبلةُ الطويلةُ ... منه ... كلَّ خافٍ من الأمانىّ سام
وعلى جسمىَ الرشيق تجلّت ... آيةُ الله في بديع انتظام
هيكل من هيا كل السحر تروى ... ضمة من كلّ قلب ظام
فرنا الشاعرُ الحزين إليها ... بحنان ولوعةٍ واعتصام
طاوياً في فؤاده حسرات ... دغدغتْ ما يضمه من كلام
أنتِ لا تمنحين قلباً محبًّا ... وأنا لستُ أرتضى بالرغام !

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

مخللة ، غير كبيرة الحجم ، فماذا تبعث هذه من رائحة ؟ إنها تبقى يوماً ... ثم تختنق ... — تتعفن ! لا ، ولكن إذا قذف بجثة آدمى إلى موضع فيه الشمس فانها تتعفن حقاً . إلا أن ذلك عمل منكر ! »

مثل هذه الأحاديث كانت تفت فى عضدنا وتقلل رغبتنا فى العمل . وكان ذلك يفيدنا كل الفائدة عندما نعمل بأجر يوى فى الأعمال الجزئية . فقد كنا نتقاضى أجرنا دائماً قبل أن نتم ما عهد الينا به من عمل . وذهبنا مرة إلى مقاول وطلبنا منه أن نعمل فى عمل ، إلا أنه طردنا وهددنا أن سوف يضطرنا بمعونة الشرطة إلى إتمام العمل الذى أنقدنا أجرنا عليه من قبل . وكنا نجيبه بانه لا طاقة لنا على العمل وبطوننا خاوية . وتشبثنا مطالبين بالعمل . وكنا نحصل عليه فى أغلب الأحيان

كان ذلك خطأ منا ، ولكن لا ننكر فى أنه كان مفيداً لنا . ولم يكن فى وسعنا أن نصلح شيئاً من نظام الحياة الذى فسد ، حتى أصبح القيام بعمل والانتفاع به ضدين

وكان زيومكا فى كل مرة يتولى المفاوضة مع أصحاب العمل ، وكان يقوم بها بمهارة ولباقة . وكان يبرهن على صحة مطالبه بهدوء الرجل المهدود القوى الذى يرزح تحت عبء الأعمال التى لا طاقة له بها

وكان ميشكا يقف صامتاً إلى جانبه ، ويحملق بعينيه ويبتسم ابتسامة الرضا والسرور ، كما لو كان فى نيته أن يقول شيئاً ولكن خار عزمه . وكان يندر أن يتحدث ، فاذا ما تمل أخذ فى الكلام كمن يلقى خطاباً . ثم ناداه مبتسماً :

« أخى ! » وكانت شفتاه ترتجفان عجباً ، وبقى صوته محتبساً فى حلقه ، وبدا يسعل ليستر خجله ، ثم أمسك رقبته بيده

وقال زيومكا ، ولم يطق صبراً : « ما بالك ؟ »

فقال له : « أخى ! إننا نعيش كالكلاب ، بل أتعس منها .. ولم ذلك ؟ لا أحد يدرى ! ولكن لا بد من أن الله عز وجل أراد ذلك ، فكل شيء يسير بارادته . أليس كذلك يا أخى ؟ نعم هو كذلك . ولذا أقول إن ما نلاقاه نحن التعساء هو العدل . أليس ذلك تفكيرا صحيحاً ؟ وعلى ذلك أفلا يمكن أن تتحسن حالنا ؟ يجب أن نرتضى حظنا صابرين ... أليس كذلك ؟ »

ولكن زيومكا أجاب على أسئلة زميله المتعددة المثيرة للخواطر بكلمة مختصرة : « يا قليل العقل ! »

فانكمش ميشكا وقد عرف خطأه ، وابتسم خجلاً وبرقت عيناه المتفتحتان من الحر وسكت . ثم قال فجأة : آه ، لو أن لنا « خنزيراً » .

وكنا ذات يوم نتسكع فى السوق نبتغى عملاً ، فاصطدمنا بامرأة عجوز ضامرة قصيرة ذات وجه كثير التجاعيد ؛ وكان رأسها يهتز فوق عنقها . وعلى أنفها منظار كبير محاط باطار غليظ من الفضة ، يتأرجح يمنة ويسرة فتعمل يد العجوز لتثبيته فى موضعه . أخذت تحدق فينا النظر ؛ وقد وجهنا إليها أنظارنا طامعين فى حديثها .

وسألتنا : أليس لكم عمل ؟ أتبحثون عن عمل ؟

ولما أجابها زيومكا فى احترام بالايجاب ، قالت : « حسناً ! عندى حمام قديم أريد هدمه . كما أريد أن تنظف النافورة . . . فكم من الأجر تطلبون ؟ »

فرد عليها زيومكا فى احترام أيضاً قائلاً : « يجب أولاً يا سيدتى المحترمة أن نرى الانسان حجم الحمام ، وكذلك النافورة ، فلكل نافورة شكلها الخاص ، إذ منها ما هو عميق جداً و ... »

وطلبت منا العجوز أن نرى النافورة . ولم تمض ساعة حتى كنا نعمل مجدين بالمناشير والمعاول فى هدم الحمام . فلما انتهينا من عملية الهدم هذه وتنظيف النافورة تقاضينا مبلغاً قدره خمسة روبلات وهو الأجر الذى اتفقنا عليه . وكان الحمام مقاماً فى ركن مهجور من الحديقة ، وعلى مقربة منه كوخ خشبى تظلله أغصان شجر الكرز . وقد رأينا ونحن نهدم بناء الحمام العجوز جالسة فى ذلك الكوخ عاكفة على قراءة كتاب كبير وضعته على ركبتيها . . . وكانت من وقت لآخر ترمينا بنظراتها الحادة ، وكان الكتاب يهتز فوق ركبتيها فيلمع القفل الفضى للكتاب .

ليس بين الأعمال أسهل من التخريب والهدم . وقد استفرغنا جهدنا وسط سحابة من الغبار . وكنا نعطس ونسعل ونمخط ونفرك أعيننا حين قد سقط الحمام وتناثرت أجزاؤه ، فقد كان عتيقاً ناخراً كصاحبته .

« هيه ياشباب ، فنجيبها : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هوب ! » هكذا كان زيومكا يصدر أوامره . وهكذا تساقطت كتل البناء الواحدة تلو الأخرى .

وتساءل ميشكا وهو مطرق الرأس مستنداً إلى الفأس مجففاً

عرق جبينه : ماعساه يكون هذا الكتاب ؟ إنه لكتاب ضخم ! ولن يكون الانجيل إذ هذا أضخم منه . »

وسأله زيومكا مستفسراً : « وماذا يهمك من ذلك ؟ »

« يهمنى ؟ كلا ! إننى أميل لاستماع من يقرأ الكتب . . . أعنى الكتب الدينية . وكان فى قريتنا جندى اسمه أفريكان يقرأ كثيراً فى الاصحاح ، وكان وقع ذلك فى أذنى كالموسيقى — ما أجمل ذلك ! »

وسأله زيومكا ، وهو يشعل لفافة التبغ : والآن ؟ »

— لا شىء . لقد كان جميلاً ، على رغم أن الانسان لا يفقهه . إنه لكلام جميل . . . وقد لا يسمع الانسان كلاماً مثله فى الشارع . نعم إن الانسان لا يعرف له معنى ، ولكنه يشعر بأن ذلك له صلة بالروح .

وهزىء زيومكا منه قائلاً : هذا ما لا أفهمه ، إن الانسان ليرى فيك من جديد غباء الحذاء القديم

فأجاب الآخر قائلاً : « إننى واثق من أنك تميل إلى السباب »

« كيف السبيل إلى مخاطبة مثل هذا الحمار ؟ إنه لا يفقه شيئاً غير ذلك : هيا ، أعمل معولك هنا — انتبه . . . هوب »

وتقوض بناء الحمام شيئاً فشيئاً وكثرت الأنقاض ، وقد أحيطت بغمامة من الغبار كست أوراق الأشجار القريبة

وبدأ ميشكا ثانية : هذا الكتاب محلى بالفضة »

ورفع زيومكا رأسه ، وصوب نظره إلى الكوخ . وقال فى اقتضاب :

— « هو كذلك على الغالب »

— « إنه لا شك الانجيل »

— « ليكن ذلك . وما ذا يهمك من أمره ؟ »

— « لا شىء ! »

— « لا شىء هذه ملء جيوبى . ولكن إذا كنت تريد أن تستمع إلى ما فى الانجيل فاذهب إلى العجوز وقل لها : اقرئى لى ياسيدتى المحترمة شيئاً من الانجيل . إنه لا سبيل لنا غير ذلك ؛ إننا لا نذهب إلى الكنيسة لأن أبداننا قذرة وملابسنا بالية ، إلا أن لنا روحاً كبقية الناس ... هيا اذهب » .

— هل أذهب حقاً ؟ »

— « نعم ، إذهب »

وقذف ميشكا بمعوله وأصلح ثيابه ومسح الأقذار عن وجهه بكمه ، وقال زيومكا فى نفسه وابتسامة السخرية على فمه : « ستركلك برجلها كأحقر دب . » غير أنه تلهف على متابعة خطوات صاحبه بالنظر ، وسار هذا يخطى ثقيلة وابتسامة الخجل والهدوء مطبوعة على وجهه ، ورفعت العجوز رأسها وصوبت نظرها إلى ذلك المتسكع القادم إليها ، وكانت الشمس تضىء زجاج منظارها وإطاره الفضى فيومض

ولم تركله برجلها برغم أن زيومكا تنبأ بذلك ، وكان حفيف الشجر يحول دون سماع ما تحدث به ميشكا إلى صاحبة المنزل ، ولكنا رأيناه يخر فجأة أمام قدميها ويجلس على الأرض حتى يكاد أنفه يمس الكتاب ، وكان وجهه يدل على الهدوء والرزانة ، وقد رأيناه وهو يحاول ما استطاع أن ينفخ فى لحيته ليبعد عنه الغبار ، وأخيراً استقر فى مجلسه ومد عنقه ووجه نظره إلى يد العجوز التى أخذت تقلب صفحات الكتاب صفحة صفحة

« أنظر اليه فهو كالكلب غير المهذب ! له الآن أن يستريح . فهل نذهب نحن كذلك ؟ وماذا نعمل هنا وحدنا ، وهو يجلس هادئاً بينما نحن نعمل من أجله ونهلك قوانا . هيا ، سر إلى الأمام »

وبعد دقيقتين جلسنا إلى جواره واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ؛ ولم تنبس العجوز بكلمة ساعة قدومنا ، ولكنها كانت تحدق فينا وتقلب صفحات الكتاب كمن يبحث عن شىء بعينه ، وكانت السماء صافية تشيع السرور فى النفس ، وكان النسيم العليل يهب من وقت لآخر مداعباً أوراق الشجر ، وانساب من هذا وذاك سحر إلى قلوبنا التى كانت تتهيأ للمحبة والسلام ، وبدأ يستيقظ فينا الاحساس بأشياء غامضة مجهولة إلا أنها قريبة منا ، وأخذت أرواحنا تتحرر من الأدناس

« بولص ، خادم المسيح »

بهذا رن صوت العجوز ، وكانت ترتعش وقد هدها الكبر ، غير أنها كانت خاشعة ، ورسم مشيكا الصليب ، وأخذ زيومكا يتحرك من جنب إلى جنب ليجد مكاناً فى الأرض مريحاً ، وكانت العجوز ترمقه بعينيها دون أن تمسك عن القراءة

(البقية فى العدد القادم)

ا . ا . ى

من اسخيلوس

لايوس وأوديب

« دراماتان مفقودتان »

بقية المنشور فى العدد الماضى

للأستاذ دريني خشبة

— ٩ —

« ويلاه ! لقد جئت أستجلى الحقيقة فضاعفوا الغموض فى نفسى ! أبى من هذا الذى أقتله ، وأمى من تلك التى أتزوج منها ، وأى شعب هو ذاك الذى أتعسه وأشقيه ؟ أتكون الملكة صادقة وأكون ابن بوليبوس حقاً ؟ ! أتكون زلة لسان من هذا العربيد أرسلها وهو لا يدرى ما هى ؟ إذن لأبعد فى الأرض ، فأنا لا أطيق أن أرانى أقتل بوليبوس ، أبى ، إن كان حقاً أبى ... وأنا لا أطيق أن أرانى زوجاً لأمى الملكة ... إن كانت حقاً أمى ! ... »

وذهب المسكين لا يلوى على شىء ، يأوى الى الكهوف والغيران إذا جنه الليل ، ويغتذى بقليل من البندق أو الجوز أو التين إذا ألح عليه الجوع ، ويبل غلته من الجداول والغدران

— ١٠ —

وبينا هو يطوى الفيافى والقفار ، إذا به يصل إلى ملتقى طرق ثلاث ، وإذا به يصل ثمة فى الوقت الذى يصل ملأ كريم إلى المكان نفسه ، وقبل أن يعرف أوديب أى الطرق الثلاث يسلك إذا رجل طوال يبدو عليه من ملامحه أنه جندى أو قائد ، يأمره بصوت خشن أجش أن يتنحى ناحية حتى يمر الركب . وكانت لهجة الرجل من الجفاف والغلظة بحيث لم يحتملها أوديب ، فرفض أن يتزحزح خطوة واحدة ، بل زاد فاعترض طريق الركب كأنما يتحدى رجاله جميعاً . وكيف يُراد من أوديب الناشئ فى بيت ملك كورنثه والذى أعدته الأيام لتولى زمام الملك أن يصدع بأمر رجل عابر طريق ، مهما كان الرجل من حول وفى طول ؟ إذن ليلتحم أوديب مع كل هؤلاء القوم فى عراك عنيف ، وليكن من الأمر ما يكون !

وصاح الرجل مرة أخرى ، وأرغى من الغضب وأزبد ... ولكن أوديب وقف مكانه كأنما سمر فيه ؛ وأخذ يحدج القائد بعينين تقدحان الشرر ، وتنفثان الموت الزؤام !

ولم يستطع القائد إلا أن يمتشق سيفه وينقض على أوديب كالصاعقة ... ولكنه سقط على الثرى قبل أن يصل اليه جثة هامدة ! « خذها ضربة من أوديب ! ! »

وذهل الجنود حينما شهدوا قائدهم معفرا بالتراب ... فتكاثروا على أوديبوس ... ولكنه صرعهم واحدا واحدا بضربات كأنها سنا برق يومض خلل السحاب فى يوم عاصف !

ثم نزل من المركبة التى كانت تنهب الطريق فى إثر الجنود رجل مُسن قد وخط الشيب رأسه ؛ واقترب من أوديب وهو يهدج كالبعير الأبلق ، ثم أخذ يحذره من الموت الذى يتربص به ... « أنت شاب يا بنى والحياة حلوة جميلة ، وبرد الموت لا يخلق بعنفوانك ... فانتح ناحية ، ولا تركب رأسك ، ولا تحسب أنك تقدر على كما قدرت على هؤلاء ... » وكان الشيخ يهز فى يمينه سيفاً كالمنية ... ولكن أوديب تبسم من قوله ضاحكا ... وأعجله بضربة قدّت رأسه وأضلاعه ... وغادرته عند حيد الجبل جزر السباع ...

وأسفاه! . . لقد قتل أوديب والده ! ! ونفذ ثلث القضاء ! فمتى ينفذ شطراه الآخران ؟ !

— ١١ —

سُلّطت على مدينة طيبة هولة رائعة ما برحت تغتال أهلها وتعيث فيها فسادا ؛ وكلما لقيت أحدا عرضت عليه حُجَيّا (١) ، فان فسرها وقدر على تأويلها خلت سبيله ، وإن لم يستطع غالته واغتذت به ... وقد عزّ على لايوس الملك ألا يقوى أحد على هذه الهولة فيخلص طيبة منها ، ويريح من شرها العباد . فلما لم يستطع أحد أن يفسر حجياها اعتزم أن يذهب إلى دلفى مستخفياً فى رهط من جنده ، عسى أن يؤول له الكهنة ذلك الطلسم وينقذ شعبه من ذلك البلاء المبين !

وكأنما سعى لايوس إلى حتفه بظلفه ! فقد لقيه ولده أوديبوس وقتله ومن معه على ما وصفنا !

— ١٢ —

وقبل أن يبلغ أوديب طيبة ، كان خبر مقتل الملك وجنوده قد ذاع فيها ، ولكن من كان أولئك القتلة ؟ فلم يكن أحد

(١) الحجيا هى ما يسميه العامة (الفزورة) وهى غير الأحجية بتشديد الياء

بدرى ... إشاعات فحسب ! فقائل إن الهولة هى التى أدركتهم وصرعتهم جميعاً ؛ وقائل إن عصابة من قطاع الطرق أحدقت بهم وذبحتهم وهم نائمون ... ...

وكان أوديب قد سار فى طريق طويلة شاقة انتهت به إلى طيبة . فلما كان ثمة لقيه واحد من الأهالى أنس اليه ، وتبسط معه وذكر له خبر تلك الهولة الفظيمة التى قتلت ربع سكان طيبة : « وإذا لم يرح المدينة منها أحد ، فقد تقتلنا جميعاً ! ! وهى تعرض على من تلقاه أحجيّا يا صاح ، فاذا عرفها وأدرك تأويلها خلت سبيله ... وإلا ... فهى لا بد فاتكة به مهما كان سلاحه ، ومهما كانت قوته !! وها هى ذى قد فتكت وحدها بالملك وجنده فى طريقه إلى دلفى ... وقد أجمعت المدينة على أن من يخلصها من ذلك الشر المستطير فانها ترفعه إلى العرش فيكون ملكا على طيبة الخالدة ، ثم يحظى بالملكة الأيم فتكون زوجة له ! ! »

— ١٣ —

وكان أوديب قد زهد فى حياة التشرد التى شقى بها بعد مغادرته كورنثه ، فصمم على أن يلقى الهولة ... فاما قتلها وفاز بعرش طيبة وبيد الملكة ... وبحياة ناعمة مخفرجة ، وإما قتلته فأراحته من شظف العيش ولؤم الزمان

ودله صاحبه على مكانها ... فذهب اليها وبيده جرازه ... أظمأ ما يكون إلى دم حار وسم زعاف ! ...

وقالت له : « مكانك أيها القادم ! أفتنى فى مخلوق غريب إذا انبلج الصبح درج على أربع ، فاذا انتصف النهار مشى على رجلين ، فاذا أرخى الليل سدوله سار على ثلاث ! قل ! فان لم تستطع ، فودع الحياة [1] »

وعبس أوديب عبسة قصيرة ، وقال : « أيتها الهولة ! أهذه حجياك ! ! إذن إسمعى وعى ! ذلك المخلوق هو الانسان من غير ريب ! أليس يحبو على أربع إذ هو طفل ، فاذا شب سار على رجلين ، فاذا بلغ من الكبر عتياً توكأ على عصا ، فكانت له رجل ثالثة ؟ ! »

وما كاد يتم قولته حتى اربد وجه الهولة ، وحتى انثنت تأخذ طريقها إلى البحر لتغيب فى أحشائه ، ولكن أوديب الذى ملأه انتصاره بحل اللغز عُجباً وكبرياء ... انقض عليها وخوّض فى صدرها بجرازه ... وتركها على الشاطئ جثة خامدة !

— ١٤ —

وفرحت طيبة بمخلصها العظيم ، ومنقذها الكريم ، ورفعت أوديب إلى عرشها ، ووضعت على ناصيته تاجها ، ووهبت له يد الملكة فتزوجها !

وا أسفاه !

لقد تزوج أوديب أمه ! وتم الشطر الثانى من النبوءة الصارمة ، وأولدها ابنها أربعة أبناء أشقياء ، ولدين وابنتين ، كأشباح الأسى والردى ، والتعاسة والمنون ! !

— ١٥ —

وحكم أوديب فعدل ، واطمأنت إلى رحمته قلوب العباد ، وتقدمت طيبة واستقامت أمورها ، وبلغت من الأيد والقوة مبلغاً لم تكن تحلم به ...

غير أن النبوءة تأبى إلا أن تتم ، ولا بد أن ترث ذرية أوديب التعاسة عن أوديب . ذلك أن طاعوناً اجتاح طيبة ، فكان الناس يموتون بالمئين ! وكلت حيل الأطباء ، فأرسل الملك من يستنبئ كهنة أبوللو فى دلفى عسى أن ترفع الآلهة غضبها بكشف هذا البلاء عن بلده الأمين ! وعاد رسل الملك يقولون : « يقول أبوللو ابحثوا عن قاتل لايوس وانتصفوا للملك منه ... يرفع عنكم ذلك الطاعون ! »

قاتل لايوس ! ! إذن يجمع أوديب شرطة طيبة ، ورجال القضاء فيها ، ويجرى تحقيق دقيق ينتهى بالحقيقة المؤلمة ...

« يا للخزى ! ! إذن أنت هو ابنى يا أوديب ! أنا أمك ! أنا أمك ! يا للعار »

وتنطلق الملكة إلى غرفتها الخاصة فتنتحر ! وقبل أن تفعل ترسل وراء الخادم الذى كان قد أخذ الطفل ليقتله ، فيحضر ، ويعترف بكل ما كان !

— ١٦ —

أما أوديب ، فانه لا يستطيع أن ينظر إلى أمه ... بل يجن جنونه ، ويتناول دبوساً فيسمل به عينيه ، وينطلق إلى البرية على غير هدى ، فتتبعه ابنته أنتيجونى ، تقوده إلى غاب كولونوس حيث تأوى ربات الذعر فيفتلنه ...

وينكشف الطاعون عن طيبة

ويقتتل ابنا أوديب على العرش ، فيقتل بعضهما بعضاً ، وتتم المأساة ! ... ...

دريني خشبة

(١) الترجمة عن سوفوكليس

البريد الأدبي

مكسيم جوركى

وافتنا الأنباء الأخيرة بنعى مكسيم جوركى شيخ الأدب الروسى المعاصر . توفى بعد مرض طويل مضن فى نحو الثامنة والستين من عمره . وبوفاة جوركى يختتم ثبت أكابر الكتاب الثوريين الذين مهدوا بكتاباتهم للثورة الاجتماعية الروسية الكبرى أعنى الثورة البلشفية ، وسيادة الطبقات العاملة ، مثل ليون تولستوى ، والبرنس كورباتكين . وكان مولد جوركى ببلدة « نجنى نفجرود » من أعمال الفولجا فى سنة ١٨٦٨ ، من أسرة عاملة فقيرة ، واسمه الحقيقى ألكسى مكسينوفتش بتشكوف ؛ ومات أبوه وهو طفل فكفلته جدته لأمه ؛ ولم يتلق لفقره تربية ، بل اضطر منذ حداثته أن يعمل ليعيش ؛ فالتحق فى التاسعة من عمره بخدمة محل لصنع الأحذية . ولبث يتنقل من عمل إلى عمل ، وهو يعانى شظف البؤس ، ولا يكاد يثبت فى عمل ما ، لأنه كان منذ حداثته يبدى مللاً مستمراً ونزوعاً إلى الثورة . وكان الفتى ألكسى مع ذلك يختلس الأوقات للقراءة والاهتمام بشؤون السياسة والثورة . وفى سنة ١٨٩٢ ، استطاع جوركى أن يخرج كتابه الأول « ماكان شودرا » ، وفيه صور قصصية مؤثرة ؛ وفى العام التالى أخرج كتابه « شلكاش » على مثل كتابه الأول فصادف نجاحاً كبيراً . وتبوأ الفتى « جوركى » مكانته كأديب وكاتب يحسب حسابه ؛ وفى ذلك الحين أيضاً قبض على جوركى لما بدا فى كتاباته من النزعة الثورية وأودع السجن ، ومرض فيه حتى كاد يموت ؛ ولكنه ماكاد يخرج حتى عاد إلى الكتابة ؛ وأخذ يطوف أرجاء روسيا متصلاً بزعماء المجاهدين والكتاب والثوريين . وفى سنة ١٩٠٠ ، أخرج جوركى قصته الكبيرة « توما جورديف » ، فلقيت نجاحاً كبيراً . واتصل منذ أواخر القرن الماضى بفلادمير إلتش أو « لنين » زعيم الثورة البلشفية المستقبلة وصحبه ؛ واشتغل بالصحافة الثورية ؛ واستمر مع ذلك فى إخراج كتبه ؛ وكانت معظم كتبه فى ذلك الحين قصصاً ثورية تمثل بؤس الطبقات العاملة التى عرفها وعانى ويلاتها صغيرا ؛ وفى ذلك يصل جوركى إلى ذروة فنه ؛ بيد أنه لم يتمكن قط من وصف المجتمع الرفيع بمثل هذه البراعة ؛ وكان ذلك وقفاً على أقطاب درسوا الحياة الرفيعة مثل ليون تولستوى . وأحسن ما يصف جوركى تلك الشخصيات الناقمة التى تخرج على النظم والأغلال الاجتماعية المفروضة ، وهى فى الواقع شخصية جوركى ذاته

وعرف جوركى ظلام السجن أكثر من مرة ؛ ولكنه كان فى كل مرة يخرج أقوى نفساً وأثبت عزماً على الكفاح . وفى سنة ١٩٠٦ سافر إلى أمريكا موفداً من الجمعيات الثورية الروسية ليدعو إلى قضية الحرية الروسية . ولكنه لم يلق النجاح المرغوب ، لما عرف أن السيدة التى ترافقه هى صاحبته وليست زوجته ؛ وقام أيضاً بالتجوال فى ألمانيا وفرنسا ليدعو ضد القرض الذى كانت تحاول القيصرية عقده ، وهو ينذر بأن الشعب الروسى لن يدفعه ؛ ولكن مساعيه خابت وعقدت روسيا هذا القرض فى فرنسا قبيل الحرب ؛ ومع ذلك فقد صحت نبوءته ، وجاءت الحكومة البلشفية فأعلنت إلغاء ديون القيصرية كلها

وعاد جوركى إلى روسيا قبيل الحرب وأسس مجلة أدبية ثورية ؛ ثم كانت الحرب ، فتفرق زعماء الثورة فى كل مكان ، ولبث جوركى فى روسيا ، حتى كانت الثورة البلشفية ، فظهر عندئذ فى طليعة زعماء الثورة ؛ وقربه لينين . وكان جوركى يحترم الرجل الذى حطم طغيان القياصرة ، وحقق سيادة الطبقات العاملة ، أعنى لنين ، ويذهب فى هذا الاحترام إلى حد التقديس والعبادة . وغدا جوركى من أقطاب النظام الجديد ، وغدا لسانه وزعيمه الأدبى ؛ وأغدقت عليه الحكومة البلشفية رعايتها . ومنذ نحو عشرين عاماً يقود جوركى الحركة الأدبية الحديثة فى روسيا ، ويغذيها بروحه الثورى المضطرم

وأخرج جوركى فى تلك الفترة عدة كتب رائعة : منها « الشريدون » و « ذكريات الشباب » و « المتفرج » و « كوموفالوف » ، وهو أعظم كتبه ؛ و « الأعماق السفلى » وهى قطعة مسرحية قوية ؛ وغيرها

والخلاصة أن جوركى يعتبر من أعظم زعماء الأدب الروسى المعاصر . وقد نوه البرنس كوروباتكين فى كتابه عن الأدب الروسى بعبقرية جوركى الأدبية والفلسفية (ع)

جوركى أديب الصعاليك

كتبنا كلمة فى هذا الباب من أبواب (الرسالة) منذ أسبوعين عن حياة جوركى ؛ وها قد لفظ أديب الشيوعية الكبير آخر أنفاسه فى الأسبوع الثانى من هذا الشهر (٩ يونيه سنة ١٩٣٦) من أثر التدرن الذى كان يشكو منه دائماً والذى سافر من أجله إلى إيطاليا يستشفى منه ، ولكنه ما زال به حتى قضى عليه فى النهاية . وقد ذكرنا أن جوركى عمل فى حداثته عند خباز ، ونذكر اليوم أن هذا الخباز كان اسمه (راماس) من مدينة قازان ، وأنه كان ذا أثر كبير فى توجيه مكسيم جوركى ، فقد كان يعمل ليلاً فى مخبزه اتقاء لشبهة جواسيس القيصر ، ثم يبث فى عماله روح الانتقاض على ظلم القيصرية بما كان يلقيه عليهم من أحاديث ملتهبة ، وبما كان يقرئهم من كتب ويثقفهم به من معلومات . وكان الفتى جوركى أشد العمال تعلقاً براماس ، وكان يلتهم كتبه التهاماً حتى حدثوا عنه أنه كان يقضى نصف أوقات راحته ونومه مكباً على كتب راماس ! ولما علق جوركى الأدب ومهر فى الخطابة توجه إلى بطرسبرج ودعا الشعب الى مطالبة القيصر بالدستور ، ثم جمع عدداً كبيراً من العمال وتوجه بهم إلى قصر القيصر فى مظاهرة صاخبة وهتفوا بحياة الدستور ، وما هى إلا لحظة حتى حصدتهم نيران البنادق والمدافع من كل صوب ، ونجا جوركى بأعجوبة . ولكنه قبض عليه وحوكم أمام محكمة عسكرية فقضت عليه بالسجن لمدة سنة وعلى الزعيم الآخر (الأسقف جابون) بسنة مثلها (١٩٠٥)

وكان جوركى يستشفى فى إيطاليا حينما هبت الثورة فى روسيا فعاد اليها ليلتقى لينين وليكون هو وتروتسكى أشد أعوانه وأكبر مؤيديه ، وإن يكن جوركى كان يأخذ على طاغية روسيا وزعيمها الأكبر أخذه الناس بالشدة وسوقهم إلى نظمه بالعنف ، وكان يصارحه بعدم رضاه عن هذه الطرق التعسفية فى بث مبادىء الثورة مع علمه أن معنى معارضة لينين الشنق والقتل بالرصاص . والعجيب أن عطف جوركى هذا لم يستمر طويلا ، فقد حدث بعد موت لينين أن اختلف ستالين وتروتسكى من أجل تنفيذ مبادىء الثورة تنفيذاً حرفيا فكان من رأى تروتسكى أخذ الفلاحين بالعنف وإخضاعهم بالقوة لتعاليم لينين ، ولكن ستالين أبى ورأى فى الطفرة تمهيداً لثورة الفلاحين ففضل التدرج معهم فى جذبهم إلى حظيرة هذه التعاليم . واشتد الخلف بين أقطاب الشيوعية ، وملك ستالين زمام الأمور ، وفر تروتسكى خارج روسيا ، ولحق به جوركى ؛ ولكن جوركى عاد إلى روسيا بعد ذلك فشهد بعينه صدق نظر ستالين ، فرجع عن رأيه لما رأى من استقرار الأمور ، وعاد إلى سالف تشجيعه للاتحاد السوفيتى فعينه فى لجنته التنفيذية

وجوركى من أشد الملحدين الذين عرفهم التاريخ ؛ فهو يقول إن المعبود الذى تعنو له الجباه إن هو إلا خرافة ، أو هو مصدر الخرافات ! وتلك جراءة على الله سبحانه وتعالى من هذا الرجل الذى خبله البؤس وذهب بوجدانه العوز فى أكبر شطر من حياته . ويكاد يكون الفيلسوف الفرنسى برجسون أشد أعداء جوركى ؛ فبرجسون روحى بطبعه ، والناس فى فرنسا يصدقونه فى كل شىء حتى لو ادعى النبوة ، ولم يدافع أحد من الفلاسفة عن وجود الله فى عصرنا الحديث بمثل ما دافع عنه برجسون ، واليه وحده يرجع الفضل فى هزيمة داروين وجوركى ، وإن يكن جوركى ما يزال منتصرا بقوة الحديد والنار داخل روسيا

وإلى جوركى يعود الفضل فيما لصق بالثورة الشيوعية من تهم الاباحية وما إليها ، لأنه هو نفسه ما كان يتورع أن يظهر أمام الملأ فى أعمر ميادين موسكو وبطرسبرج (لينينجراد) محاطاً بمشيقاته و (محظياته !) . وقصته (الاعتراف) هى نموذج خبيث من أدب المنحطين تبذ قصص لورانس وجويس وبلزاك ؛ وفيها يذكر حديثاً غير محتشم لغادة من الساقطات تدعوه إلى نفسها لترزق منه غلاماً . وفى ذلك شبه من قصة لورانس التى أشرنا إليها مرة فى هذا الباب (عشيق لادى شاترلى) . وتلك القصة ثالثة ثلاث ألفها إذ هو فى إيطاليا والاثنتان هما (الأم) و (الصيف)

ونرجىء الكلام عن بقية قصصه وكتبه ومحلاته إلى نبذة أخرى

د . خ

في المباراة الأدبية

اجتمعت لجنة المباراة الأدبية الخاصة بموضوع « أثر الحافز الشخصي في التطور الاصلاحي والاجتماعي والوسائل العملية لتوجيه الرأي العام » التي يرأسها معالي الأستاذ مكرم عبيد باشا فنظرت في البحوث المقدمة اليها وقررت :

١ — منح الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه للأستاذ عباس حافظ الموظف بوزارة الداخلية

٢ — منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيها للأديب جميل خانكي

٣ — منح الجائزة الثالثة وقدرها ٢٥ جنيها للآنسة زينب الحكيم الحائزة لدبلوم فروبل العليا بلندن

٤ — منح الجائزة الرابعة وقدرها ٢٥ جنيهاً للأستاذ حسن مظهر المحرر بمجلة اللطائف المصورة

وقد رأت اللجنة أن تتقدم إلى صاحب الدولة وزير الداخلية ليسمح بمنح هذه الجوائز برغم انقضاء الموعد المحدد لها

بين السياسة والأدب

تولى الحكم أخيراً سياسيان عظيمان ، هما في الوقت نفسه أديبان كبيران ، وهما مسيو ليون بلوم الزعيم الاشتراكي الفرنسي الذي فاز حزبه في الانتخابات الفرنسية الأخيرة ، وانتهى بأن تولى زعيمه الحكم ؛ ثم السنيور مانويل ازانا دياز ، الذي انتخب أخيراً رئيساً للجمهورية الأسبانية ؛ فكلاهما أديب كبير ، وله مؤلفات تتبوأ مكانها الأدبي . ولنلاحظ أولاً أن مسيو ليون بلوم فوق كونه اشتراكيا ، هو يهودي ؛ وهذه أول مرة يتولى فيها الحكم في فرنسا يهودي منذ وزارة مسيو كايو الذي تولى الرياسة قبل الحرب . وكان مسيو بلوم منذ أواخر القرن الماضي صحفياً وناقداً ، ففي سنة ١٨٩٧ ، كان يتولى تحرير « المجلة البيضاء » ، وكان يعرف يومئذ بنقده اللاذع ؛ ثم تخلى عن تحرير هذه المجلة إلى الكاتب الشهير « أندريه جيد » . ثم تحول الى الكتابة السياسية منذ حمله تيار السياسة ، وكانت مقالاته في جريدة « البوبولير » حتى العهد الأخير تثير أعظم الاهتمام في دوائر السياسة

وأما المسيو ازانا رئيس جمهورية أسبانيا الجديد فهو مؤلف ذو شهرة واسعة وله عدة كتب في السياسة والأدب نذكر منها : (دراسات عن السياسة الفرنسية الحديثة) ، و (ترجمة جوان ڤالير) وهو كتاب نال به الجائزة القومية الوطنية ؛ و (الكتابة والقول) و (في الحكم وفي المعارضة) ، ثم رسالة أدبية عن (دون كيشوتي) ، وقطعة مسرحية عنوانها (التاج) هذا عدا روايات وقصص ومقالات عديدة

كتاب جديد لهافلوك أليس

صدر أخيراً كتاب النقادة الانكليزي الشهير هافلوك أليس عنوانه : (مسائل عصرنا) Questions of our Day والذين يتتبعون حياة هافلوك اليس وكتاباته يعرفون أنه من أعظم المفكرين والنقدة في عصرنا ؛ وقد بلغ اليوم عهد الشيخوخة ، ولكنه ما زال قوي النشاط ، قوي الأثر في الشباب المتأدب ؛ وقد كانت كتاباته من أكبر العوامل في الترويج للأدب الجنسي الحديث ، وهو الأدب الذي كان يرفضه المجتمع الانكليزي من قبل . ويشتمل كتاب هافلوك أليس الجديد على مائة موضوع من الموضوعات التي سبق أن عالجها في ظروف ومناسبات مختلفة ، وهذه بعضها : « ما هو المجرم . بديل الحرب . مسألة الثورات . التربية في العالم المتطور . الحاجة الى سماء جديدة . مسألة التعقيم الاصلاحي » وغيرها

ومع أن معظم هذه الموضوعات قد كتب من قبل ، فان الكتاب يطبعه طابع واضح من الجدة ، ويبدو تعمق الكاتب وبعد نظره في معالجات موضوعه ، حتى إن القارئ ليشعر بأن كثيراً مما تنبأ به هافلوك اليس في كتاباته عن التطورات الاجتماعية يقع اليوم في العالم بالفعل

العالم المسرحى والسينمائى

بنكنوت

فيلم شركة لوتس على شاشة سينما ريوسف

لناقد «الرسالة» الفنى

تدفع الأثرة الكثير من المصريين إلى الجمع بين صناعات متعددة ، وهذا فى عقيدتهم وسيلة من وسائل الشهرة وارتفاع الذكر فى حين أن العالم يسير عكس هذه الفكرة ، فهو يعمل على توزيع الأعمال بل وتوزيع العمل الواحد حتى يستطيع الفرد أن يتخصص فى ناحية واحدة ، والتخصص سبيل الاتقان والتبرز

ولقد نقدنا فى فلم شارلى شابلن «العصر الحديث» قيام صاحبه بجميع الأعمال الفنية ؛ وهانحن اليوم نعود فنكرر قولنا ، فنى رأينا أن زميلنا الأستاذ أحمد جلال يستحق اللوم الكثير لتقليده شارلى ، وجمعه بين مهمة تأليف الرواية وكتابة السيناريو وإدارة الفلم وإخراجه ثم تمثيله . ونحن إذا التمسنا الأعذار لشارلى لاعداده الفلم الواحد فى خمس سنوات ، فان الأمر على العكس من ذلك مع جلال الذى يرهقه العمل الصحفى الى جانب عمله السينمائى . ولو أنه وزع العمل واكتفى بمهمة واحدة أو اثنتين فربما تلافى الكثير من الأخطاء التى أفسدت الفلم ونزلت به الى مستوى لا نحبه ولا نرضاه لفلم مصرى

إن مخرجى الأفلام المصرية يستغلون النظارة من المصريين أسوأ استغلال بعرضهم مثل هذه الأفلام التى تنقصها العوامل الفنية التى تتوفر فى الأفلام الأمريكية والانجليزية . ولو أن هذه الأفلام تشبع عواطف المصريين ، وتصور ميولهم ونفسياتهم ، لما وجدنا مصرياً واحدا يقبل على هذه الألاعيب الصبيانية ، ولأحس يومئذ المخرجون أن القومية وحدها ليست كافية لأن تجتذب النظارة إلى دور السينما

وإذا كان الجمهور يقبل على هذه الأفلام ، فهو انما يقوم بواجبه حيال هذه الصناعة الجديدة ، وتشجيعاً لأهل الفن من أبناء بلاده ، وعسى أن يجد فيما تعرض ما يعبر عن عواطفه . على أن هذا الاستغلال سينكشف يوماً ، وسيعرف المصريون أنهم يسيئون إلى أنفسهم وإلى الفن ، إذ يقبلون على هذه الأفلام ؛ ويومئذ يدرك المخرجون مبلغ الهوة الساحقة التى حفروها بينهم وبين رواد السينما . ولا أظن هذا اليوم بات بعيدا

إن أول أساس لنجاح الفلم أن تكون القصة التى تعرض للنظارة صالحة للسينما ؛ ويشترط فيها الفن ، والصناعة ، وعلم النفس ، وغيرها من الشروط التى يجب أن تتوفر فى كل عمل فنى ، ولهذا فان الشركات الأجنبية تنتقى خيرة القصص العالمية وتقتبسها للسينما ، وتدفع من أجل ذلك ألوف الجنيهات ؛ أما فى مصر ، فان الشركات تستغنى عن المؤلف الأديب ، ولا تحفل كثيراً بموضوع القصة ، ولهذا فانك لا تجد بين أكثر الأفلام التى عرضت موضوعا سامياً ولا قصة رائعة ذات جمال وفن

ملخص قصة الفلم

سلمى ، امرأة مبتذلة ، يعود زوجها فجأة فيجدها مع عشيق لها فيطردها من بيته ؛ وتخرج لتعيش فى الأندية الليلية ، ويلتقى بها نجيب مفتش البوليس فيتزوجها وينجب منها طفلة

ويدخل شوكت يوما إلى مكتب نجيب فيراه يضع أوراقا مالية فى مكتبه ؛ ويدعو شوكت نجيباً لقضاء السهرة فى النادى ، وهناك نجد شوكت يخسر كل نقوده ويأخذ نجيب مكانه ، وينتهز شوكت الفرصة ويسرع الى بيت صديقه ليسرق الأوراق المالية . واذ هو فى محاولته يعود نجيب ويخاف شوكت أن يضبطه متلبساً بالجريمة فيسرع إلى مخدع الزوجة ، ويدخل نجيب فيفطن أن زوجته تخونه ويصوب مسدسه الى شوكت ولكن هذا يفلح فى إسقاط المسدس من يده ! ؟ وتريد سلمى أن تنتقم من شوكت فتطلق عليه الرصاص ولكنها تصيب زوجها

ويحكم على الزوجة بالسجن ثلاث سنوات ، وفى هذه المدة

يتعرف شوكت الى إحدى فتيات الشوارع فيتخذها عشيقة له ، ويعدُّها لتكون شريكة له ووسيلته الى السرقة والاحتيال . وتخرج سلمى من السجن وتعمل خادمة عند هذه العشيقة فتعرف سرهما وتحبط تدبيراتهما . ويوفق شوكت الى اغتصاب آلاف الجنيهات من مكتب مدير إحدى الشركات (وكأن المدير لا يضع نقوده في المصارف !) ولكن سلمى ترشد البوليس الى السارق . ويجيء نجيب ليقبض على شوكت ، وإذ يحاول هذا الهرب مهددا نجيباً بالمسدس تطلق سلمى النار على شوكت

* * *

يرى القارىء أن الموضوع الذي عالجه الفلم تافه لا يحتاج الى كل هذا الحشو والتطويل والتعقيد والالتجاء الى الأمور غير المعقولة التي أغفلناها في تلخيصنا لقصة الفلم ، وهذا مما يدل على جهل كاتب القصة بالحياة والخلق المصري . فأين الرجل الذي لا يثور لمرأى عاشق زوجته في بيته ؟ وأين الأندية الليلية التي يصحب فيها الرجال زوجاتهم ويلعبون الميسر مع الساقطات أمامهن ؟ ! وأين الرجل الذي لا تأخذه الريبة ولا الشكوك من وجود صديقه في بيته أثناء غيبته ؟ ومدير الشركة الذي يولول ويكاد يتملكه الجنون لأن سيدة أغمي عليها في مكتبه ، ثم هذه الطريقة المضحكة التي تتعرف بها عشيقة شوكت إلى تاجر الأقطان ومفتش البوليس الذي لا يعرف كيف يتقي شر المجرمين ولا يعرف كيف يستخدم مسدسه . . . هذه الأشياء تبين بجلاء جهل الكاتب بعلم النفس وبالحياة المصرية

وقد تكون الفكرة التي تقوم عليها القصة مما لا يصل اليه النقد ، كما صرح بعض الزملاء ، ولكن العلاج وما يحيط بالقصة من حواش وجو مليء بالأقذار والأدران مما لا ترتاح إليه النفس ،

أما تصوير الشخصيات فضعيف مضطرب ، وفي بعضها نزول عن المستوى الذي يليق أن يعرض على الجمهور ، والذي لا يتسق مع بقية الشخصيات ولا مع موضوع القصة ، مثل المشيق الأبله الذي يفتتح به أول مناظر الفلم ، أو مثل شخصية الخادم (البلدي) ومسلكه مع مخدوميه ، والفتاة السارقة عند ما أخذها شوكت الى بيته لأول مرة ، وكذلك شخصية سلوى فيها كثير من الابهام الذي لا ترتاح اليه النظارة

والحوار لا بأس به ؛ غير أنه في كثير من المواقف يشبه الحوار المسرحي ، كما أن هناك اسفافا في الأحاديث بين شوكت وسلوى ، وبين الخادم البلدي ومخدومه ، وبين شوكت والفتاة السارقة . وقد يقول المؤلف إنه يحاول أن يرسم صورة واقعية ، ولكن الفن أسمى من هذا الواقع ، ثم إن الواقع في حد ذاته لا قيمة له إلا إذا صقلته وأعدته يد مفتن ماهر

التمثيل والتصوير

والتمثيل ضعيف ، وكثير من المواقف انقلبت الى مواقف مسرحية ، ولو أن المدير الفني كان همه الأول قيادة الممثلين لعاد ذلك بالخير على الفلم ؛ وإنني من رأي صديقي الأستاذ أحمد بدرخان في أن للسيدة آسيا مواهب لو استغلت كما يجب لبرزت وعلا نجمها ، وهي جديرة بأن تسمى (ماي وست) مصر ، ولكنها مع الأسف لم تظهر في فلم يلائمها ، ولم تعمل مع مدير فني يستطيع أن يبرز مواهبها ، وإن ظهورها الدائم مع ماري كويني ومع جلال مما يجعل التشابه كثيرا في حركاتها وتمثيلها ؛ ونحن ننصح لها أن تبدل الشخصيات التي تعمل معها بين قصة وأخرى ، فللوجوه الجديدة أثر وأي أثر في نفوس النظارة

أما تمثيل الآنسة ماري كويني ، فماذا أقول ! إنها كانت تضحك في أغلب أجزاء دورها ضحكا يتردد صداه ، حتى إنني لأذكر أنها كانت تضحك ضحكا متشابهاً يبعث السأم إلى النفس ، وتمثيل الرشيدي (نجيب) مسرحي أكثر منه سينمائياً ، أما جلال (شوكت) فكان يقوم بمغامراته كأنه لا يحفل بأحد وإذ هو يتسور حاجز الحديقة كأنه يقوم بلعبة في وضح النهار لا يخشى رقيباً

كان المصور ينتقل في بساطة لا أثر للفن فيها مما يدل على أن كاتب السيناريو والمدير الفني لم يحافظا على الجو السينمائي . وكان يخرقان القواعد ، فهما يجهلان متى يجب أن يصور المنظر عن قرب أو عن بعد ، وكيف ينتقلان من منظر الى آخر . وعندي أن هذا أثر الحشو والتطويل . هذا وإنك لا تجد في الفلم زوايا معبرة ، ولكن الضوء والصوت في هذا الفلم جملاء يفوق ما سبق أن قدمته الينا السيدة آسيا من أفلام

والشيء الوحيد الذي نذكره في الفيلم هو أنه مع طوله الذي تستطيع بكل بساطة أن تحذف منه أكثر من الثلث دون أن تتأثر القصة لا تشعر أثناء عرضه بالملل والسأم اللذين كنت تحسهما أثناء عرض الأفلام السابقة لشركة (لوتس) ، وإن أحسست بثورة على المؤلف والمدير الفني

يوسف